كتاب

تعزيز دلائل التوحيد

من كلام شيخ الإسلام افضل المتأخرين المحققين تقي الدين ابي العباس
احمد بن تيمية الحراني قدس الله روحه

ملكه الفقير الحقير الى الله سبحانه وتعالى بحمد الله
الحاج احمد ابن الحاج محمد الطويل الغازي عفي

في التوحيد [illegible] من المؤلف

ثم كتب
الفقير الراجي لطف القدير
محمد محمد البغدادي العمري [illegible]
عفى الله [illegible] صلى [illegible]
[illegible]
[illegible] منه
الكردي [illegible] بتاريخ سنة
٩٩
٨١٢

ثم ال الى الفقير
حسين
الوفاي

٣

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله

الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا
من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ونشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له ونشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
تسليما اما بعد فقد سالني من تعينت اجابتهم ان اكتب لهم مضمون ما سمعوه
مني في بعض المجالس من الكلام في التوحيد والصفات وفي الشرع والقدر لمسيس الحاجة
الى تحقيق هذين الاصلين وكثرة الاضطراب فيهما فانهما مع حاجة كل احد
اليهما ومع ان اهل النظر والعلم والارادة والعبادة لا بد لهم ان يخطر لهم في ذلك
من الخواطر والاقوال ما يحتاجون معه الى بيان الهدى من الضلال لا سيما مع كثرة
من خاض في ذلك بالحق تارة وبالباطل تارات وما يعتري القلوب في ذلك من الشبه
التي توقعها في انواع الضلالات فالكلام في باب التوحيد والصفات هو من باب الخبر
الدائر بين النفي والاثبات والكلام في الشرع والقدر هو من باب الطلب والارادة
الدائر بين الارادة والمحبة نفيا واثباتا والانسان يجد في نفسه الفرق بين النفي
والاثبات والتصديق والتكذيب وبين الحب والبغض والحض والمنع حتى ان الفرق
بين هذا النوع وبين النوع الآخر معروف عند العامة والخاصة معروف عند اصناف

المتكلمين في العلم كما ذكر الفقهاء ذلك في كتاب الايمان وكما ذكره المقسمون
للكلام من اهل النظر والنحو والبيان فذكروا ان الكلام نوعان خبر وانشاء والخبر
دائر بين النفي والاثبات والانشاء امر او نهي او اباحة واذا كان كذلك فلا بد للعبد
ان يثبت لله ما يجب اثباته له من صفات الكمال وينفي عنه ما يجب نفيه عنه
مما يضاد هذه الحال ولا بد له في احكامه من ان يثبت خلقه وامره فيؤمن
بخلقه المتضمن كمال قدرته وعموم مشيئته ويثبت امره المتضمن بيان ما يحبه
ويرضاه من القول والعمل ويؤمن بشرعه وقدره ايمانا خاليا من الزلل وهذا
يتضمن التوحيد في عبادته وحده لا شريك له وهو التوحيد في القصد والارادة
والعمل والاول يتضمن التوحيد في العلم والقول كما دل على ذلك سورة قل
هو الله احد ودل على الآخر سورة قل يا ايها الكافرون وهما سورتا الاخلاص
وبهما كان يقرأ النبي صلى الله عليه وسلم بعد الفاتحة في ركعتي الفجر وركعتي الطواف وغير ذلك
فاما الاول وهو التوحيد في الصفات فالاصل في هذا الباب ان يوصف الله بما
وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله نفيا واثباتا فيثبت لله ما اثبته لنفسه وينفى
عنه ما نفاه عن نفسه وقد علم ان طريقة سلف الامة وائمتها اثبات ما اثبته من الصفات
من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل وكذلك ينفون عنه

ما نفاه عن نفسه مع ما اثبته من الصفات من غير الحاد لا في اسمايه ولا
في آياته فان الله تعالى ذم الملحدين في اسمايه وآياته كما قال تعالى ولله الاسما
الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمايه سيجزون ما كانوا يعملون
وقال تعالى ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا افمن يلقى في النار
خير ام من ياتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شيتم انه بما تعملون بصير وطريقتهم
تتضمن اثبات الاسما والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات اثباتا بلا تشبيه
وتنزيها بلا تعطيل كما قال تعالى ليس كمثله شي وهو السميع البصير ففي قوله
ليس كمثله شي رد للتشبيه والتمثيل وفي قوله وهو السميع البصير رد للالحاد
والتعطيل والله تعالى بعث رسوله صلى الله عليه وسلم باثبات مفصل ونفي
مجمل فاثبتوا له الصفات على وجه التفصيل ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه
والتمثيل كما قال تعالى فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا قال اهل
اللغة اي نظيرا يستحق مثل اسمه ويقال مساميا يساميه وهذا معنى
ما يروى عن ابن عباس هل تعلم له مثلا او شبيها وقال تعالى لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا احد وقال تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون وقال تعالى
ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد

حبا

حبا لله وقال تعالى وجعلوا لله شركا الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات
بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض انى يكون له ولد
ولم تكن له صاحبة وخلق كل شي وهو بكل شي عليم وقال تعالى تبارك الذي نزل
الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ
ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شي فقدره تقديرا وقال تعالى
فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون الى قوله الا عباد الله المخلصين الى قوله سبحان
ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين فسبح
نفسه عما يصفه المفترون المشركون وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من الافك والشرك
وحمد نفسه اذ هو المستحق للحمد بما له من الاسما والصفات وبديع المخلوقات
واما الاثبات المفصل فانه ذكر من اسمايه وصفاته ما انزله في محكم آياته
كقوله تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم الاية بكمالها وهو العليم القدير وهو السميع
البصير وهو العزيز الحكيم وهو الغفور الرحيم وهو الغفور الودود ذو العرش
المجيد فعال لما يريد هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شي عليم
هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج
في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم

المفترون

وقوله قل هو الله احد الله الصمد السورة

والله بما تعملون بصير وقوله سوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه وقوله رضي الله عنهم
ورضوا عنه وقوله ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط
أعمالهم وقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه
ولعنه وأعد له عذابا عظيما وقوله إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر
من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون وقوله هل ينظرون إلا أن
يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقوله ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال
لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وقوله وكلم الله موسى
تكليما وقوله ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون وقوله
إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وقوله هو الله الذي لا إله
إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس
السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله
الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض
وهو العزيز الحكيم إلى أمثال هذه الآيات والأحاديث الثابتة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في أسماء الرب تعالى وصفاته فإن في ذلك من إثبات ذاته
وصفاته على وجه التفصيل وإثبات وحدانيته بنفي التمثيل ما هدى الله به عباده

وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا وقوله

إلى سواء السبيل فهذه طريقة الرسل صلى الله عليهم أجمعين وأما من زاغ
وحاد عن سبيلهم من الكفار من المشركين والذين أوتوا الكتاب ومن
دخل في هؤلاء من الصابئة والمتفلسفة والجهمية والقرامطة الباطنية ونحوهم
فإنهم على ضد ذلك فإنهم يصفونه بالصفات السلبية على وجه التفصيل
ولا يثبتون إلا وجودا مطلقا لا حقيقة له عند التحصيل وإنما يرجع إلى وجود
في الأذهان يمتنع تحققه في الأعيان فقولهم يستلزم غاية التعطيل وغاية
التمثيل فإنهم يمثلونه بالممتنعات والمعدومات والجمادات ويعطلون
الأسماء والصفات تعطيلا يستلزم نفي الذات فغلاتهم يسلبون عنه
النقيضين فيقولون لا موجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت ولا عالم ولا جاهل
لأنهم يزعمون أنهم إذا وصفوه بالإثبات شبهوه بالموجودات وإذا وصفوه
بالنفي شبهوه بالمعدومات فسلبوا النقيضين وهذا ممتنع في بداهة
العقول وحرفوا ما أنزل الله تعالى من الكتاب وما جاء به الرسول صلى الله عليه
وسلم ووقعوا في شر مما هربوا منه فإنهم شبهوه بالممتنعات إذ سلب
النقيضين كجمع النقيضين كلاهما من الممتنعات وقد علم بالاضطرار أن
الوجود لا بد له من موجد واجب بذاته غني عما سواه قديم أزلي لا يجوز عليه

الحوادث ولا العدم فوصفوه بالممتنع وجوده فضلا عن الوجوب او الوجود
او القدم وقالت طائفة من الفلاسفة واتباعهم فوصفوه بالسلوب والاضافات
دون صفات الاثبات وجعلوه هو الوجود المطلق بشرط الاطلاق وقد علم
بصريح العقل ان هذا لا يكون الا في الذهن لا فيما خرج عنه من الموجودات
وجعلوا الصفة هي الموصوف فجعلوا العلم عين العالم مكابرة للقضايا البديهية
وقالت طائفة ثالثة من اهل الكلام من المعتزلة ومن اتبعهم فاثبتوا له الاسماء
دون ما تضمنته من الصفات فمنهم من جعل العليم والقدير والسميع والبصير
كالاعلام المحضة المترادفات ومنهم من قال عليم بلا علم قدير بلا قدرة سميع
بصير بلا سمع ولا بصر فاثبتوا الاسم دون ما تضمنه من الصفات والكلام
على فساد مقالة هؤلاء وبيان تناقضها بصريح العقول المطابق لصحيح المنقول
مذكور في غير هذه الكلمات وهؤلاء جميعهم يفرون من شيء فيقعون
في نظيره وفي شر منه مع ما يلزمهم من التحريفات والتعطيلات ولو امعنوا
النظر لسووا بين المتماثلات وفرقوا بين المختلفات كما تقتضيه المعقولات
ولكانوا من الذين اوتوا العلم الذين يرون ان ما انزل الى الرسول هو الحق
من ربه ويهدي الى صراط العزيز الحميد لكنهم من اهل المجهولات

المشتبهة بالمعقولات يسفسطون في العقليات ويقرمطون في السمعيات
وذلك انه قد علم بضرورة العقل انه لا بد من موجود قديم غني عما سواه اذ نحن
نشاهد حدوث المحدثات كالحيوان والمعدن والنبات والحادث ممكن ليس
بواجب ولا ممتنع وقد علم بالاضطرار ان المحدث لا بد له من محدث والممكن لا بد
له من واجب كما قال تعالى ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون فاذا لم يكونوا
خلقوا من غير خالق ولا هم الخالقون لانفسهم تعين ان لهم خالقا خلقهم
واذا كان من المعلوم بالضرورة ان في الوجود ما هو قديم واجب بنفسه وما هو
محدث ممكن يقبل الوجود والعدم فمعلوم ان هذا موجود وهذا موجود ولا
يلزم من اتفاقهما في مسمى الوجود ان يكون وجود هذا مثل وجود هذا بل وجود
هذا يخصه ووجود هذا يخصه واتفاقهما في اسم عام لا يقتضي تماثلهما في مسمى
ذلك الاسم عند الاضافة والتقييد والتخصيص ولا في غيره فلا يقول عاقل
اذا قيل ان العرش شيء موجود وان البعوضة شيء موجود ان هذا مثل هذا لاتفاقهما
في مسمى الشيء والوجود لانه ليس في الخارج شيء موجود غيرهما يشتركان فيه
بل الذهن يأخذ معنى مشتركا كليا هو مسمى الاسم المطلق واذا قيل هذا موجود وهذا
موجود فوجود كل منهما يخصه لا يشركه فيه غيره مع ان الاسم حقيقة في كل منهما

وقد سمى الله نفسه بأسماء وسمى صفاته بأسماء وكانت تلك الأسماء مختصة به
إذا أضيفت إليه لا يشركه فيها غيره وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة
بهم مضافة إليهم توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص
ولم يلزم من اتفاق الاسمين وتماثل مسماهما واتحاده عند الإطلاق والتجريد
عن الإضافة والتخصيص اتفاقهما ولا تماثل المسمى عند الإضافة والتخصيص فضلا
عن أن يتحد مسماهما عند الإضافة والتخصيص فقد سمى الله نفسه حيا
فقال الله لا إله إلا هو الحي القيوم وسمى بعض عباده حيا فقال يخرج
الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وليس هذا الحي مثل هذا الحي لأن قوله الحي القيوم
اسم لله مختص به وقوله يخرج الحي من الميت اسم للحي المخلوق مختص به وإنما
يتفقان إذا أطلقا وجردا عن التخصيص ولكن ليس للمطلق مسمى موجود
في الخارج ولكن العقل يفهم من المطلق قدرا مشتركا بين المسميين وعند الاختصاص
يقيد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق والمخلوق عن الخالق ولا بد من هذا في جميع أسماء الله وصفاته
يفهم منها ما دل عليه الاسم بالمواطأة والاتفاق وما دل عليه بالإضافة والاختصاص
المانعة من مشاركة المخلوق للخالق في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى وكذلك
سمى الله نفسه عليما حليما وسمى بعض عباده عليما فقال وبشرناه بغلام عليم يعني إسحاق

وسمى

وسمى الآخر حليما فقال وبشرناه بغلام حليم يعني إسماعيل وليس العليم كالعليم
ولا الحليم كالحليم وسمى نفسه سميعا بصيرا فقال إن الله يأمركم أن تؤدوا
الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به
إن الله كان سميعا بصيرا وسمى بعض عباده سميعا بصيرا فقال إنا خلقنا
الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا وليس السميع كالسميع
ولا البصير كالبصير وسمى نفسه بالرؤوف الرحيم فقال إن الله بالناس لرؤوف
رحيم وسمى بعض عباده بالرؤوف الرحيم فقال لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز
عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم وليس الرؤوف كالرؤوف ولا
الرحيم كالرحيم وسمى نفسه بالملك فقال الملك القدوس وسمى بعض عباده
بالملك فقال وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وقال الملك ائتوني
به وليس الملك كالملك وسمى نفسه بالمؤمن فقال المؤمن المهيمن وسمى بعض
عباده بالمؤمن فقال أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون وليس
المؤمن كالمؤمن وسمى نفسه بالعزيز فقال العزيز الجبار المتكبر وسمى بعض عباده
بالعزيز فقال وقالت امرأة العزيز وليس العزيز كالعزيز وسمى نفسه الجبار
المتكبر وسمى بعض خلقه بالجبار المتكبر فقال كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار

وليس الجبار كالجبار ولا المتكبر كالمتكبر ونظائر هذا متعددة وكذلك
سمى صفاته باسماء وسمى صفات عباده بنظير ذلك فقال ولا يحيطون
بشي من علمه انزله بعلمه وقال ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين وقال
اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وسمى صفة المخلوق علما وقوة
فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقال وفوق كل ذي علم عليم وقال فرحوا
بما عندهم من العلم وقال الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة
ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشا وقال ويزدكم قوة الى قوتكم
وقال والسما بنيناها بايد اي بقوة وقال واذكر عبدنا داود ذا الايد
اي ذا القوة وليس العلم كالعلم ولا القوة كالقوة وكذلك وصف نفسه بالمشية
ووصف عبده بالمشية فقال لمن شا منكم ان يستقيم وما تشاون الا ان يشا
الله رب العالمين وقال ان هذه تذكرة فمن شا اتخذ الى ربه سبيلا وما
تشاون الا ان يشا الله ان الله كان عليما حكيما وكذلك وصف نفسه
بالارادة وعبده بالارادة فقال تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة
والله عزيز حكيم ووصف نفسه بالمحبة ووصف عبده بالمحبة فقال فسوف ياتي
الله بقوم يحبهم ويحبونه وقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم

الله

الله ووصف نفسه بالرضى ووصف عبده بالرضى فقال رضي الله عنهم
ورضوا عنه ومعلوم ان مشية الله ليست مثل مشية العبد ولا ارادته
مثل ارادته ولا محبته مثل محبته ولا رضاه مثل رضاه وكذلك وصف
نفسه بانه يمقت الكفار ووصفهم بالمقت فقال ان الذين كفروا ينادون
لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون وليس المقت مثل
المقت وهكذا وصف نفسه بالمكر والكيد كما وصف عبده بذلك فقال
ويمكرون ويمكر الله وقال انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا وليس المكر كالمكر ولا
الكيد كالكيد ووصف نفسه بالعمل فقال اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت
ايدينا انعاما فهم لها مالكون ووصف عبده بالعمل فقال جزا بما كانوا
يعملون وليس العمل كالعمل ووصف نفسه بالمناداة والمناجاة في قوله وناديناه
من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا وقوله ويوم يناديهم وقوله وناداهما ربهما ووصف
عباده بالمناداة والمناجاة فقال ان الذين ينادونك من ورا الحجرات اكثرهم
لا يعقلون وقال اذا ناجيتم الرسول وقال اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان
وليس النداء كالنداء ولا المناجاة كالمناجاة ووصف نفسه بالتكليم في قوله
وكلم الله موسى تكليما وقوله ولما جا موسى لميقاتنا وكلمه ربه وقوله تلك الرسل

فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ووصف عبده بالكلام في مثل قوله
وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين
أمين ووصف نفسه بالتنبئة ووصف بعض الخلق بالتنبئة فقال وإذ
أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه
وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير
وليس الإنباء كالإنباء ووصف نفسه بالتعليم ووصف عبده بالتعليم فقال
الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان ووصف فقال تعلمونهن مما علمكم
الله وقال لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا
عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم وليس التعليم كالتعليم ووصف نفسه
بالغضب فقال وغضب الله عليهم ولعنهم ووصف عباده بالغضب فقال
ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا وليس الغضب كالغضب ووصف نفسه
بأنه استوى على عرشه فذكر في سبعة مواضع من كتابه أنه استوى على العرش
ووصف بعض خلقه بالاستواء فقال لتستووا على ظهوره وفي قوله فإذا استويت
أنت ومن معك على الفلك وقوله واستوت على الجودي وليس الاستواء كالاستواء
ووصف نفسه ببسط اليدين فقال وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا

بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ووصف بعض خلقه ببسط اليد
في قوله ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط وليس
اليد كاليد ولا البسط كالبسط وإذا كان المراد بالبسط الإعطاء
والجود فليس إعطاء الله كإعطاء خلقه ولا جوده كجودهم ونظائر هذا
كثيرة فلا بد من إثبات ما أثبته الله لنفسه ونفي مماثلته لخلقه فمن قال
ليس لله علم ولا قوة ولا رحمة ولا كلام ولا يحب ولا يرضى ولا نادى ولا ناجى
ولا استوى كان معطلا جاحدا ممثلا لله بالمعدومات والجمادات ومن
قال له علم كعلمي أو قوة كقوتي أو حب كحبي أو رضا كرضاي أو يدان كيدي
أو استواء كاستوائي كان مشبها ممثلا لله بالحيوانات بل لا بد من إثبات
بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل وتفسير هذا بأصلين شريفين ومثلين مضروبين
ولله المثل الأعلى وبخاتمة جامعة **فصل** فأما الأصلان
فأحدهما أن يقال القول في بعض الصفات كالقول في بعض فإن كان المخاطب
ممن يقر بأن الله حي بحياة عليم بعلم قدير بقدرة سميع بسمع بصير ببصر متكلم
بكلام مريد بإرادة ويجعل ذلك كله حقيقة وينازع في محبته ورضاه
وغضبه وكراهته فيجعل ذلك مجازا ويفسره إما بالإرادة وإما ببعض المخلوقات

من النعم والعقوبات فان قال لا افرق بين ما نفيته وبين ما اثبته بل القول في احدهما
كالقول في الاخر فان قلت ان ارادته مثل ارادة المخلوقين فكذلك محبته ورضاه
وغضبه وهذا هو التمثيل وان قلت له ارادة تليق به قيل له وكذلك له محبة تليق
به وللمخلوق محبة تليق به وله رضا وغضب يليق به وللمخلوق رضا وغضب يليق
به وان قال الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام قيل له والارادة ميل
النفس الى جلب منفعة او دفع مضرة فان قلت هذه ارادة المخلوق قيل لك وهذا
غضب المخلوق وكذلك يلزم بالقول في كلامه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته ان
نفى عنه الغضب والمحبة والرضا ونحو ذلك مما هو من خصائص المخلوقين فهذا منتف
عن السمع والبصر والكلام وجميع الصفات وان قال انه لا حقيقة لهذا الا ما
يختص بالمخلوقين فيجب نفيه عنه قيل له وهكذا السمع والبصر والكلام والعلم والقدرة
فهذا المفرق بين بعض الصفات وبعض يقال له فيما نفاه كما يقوله هو لمنازعه
فيما اثبته فاذا قال المعتزلي ليس له ارادة ولا كلام قائم به لان هذه الصفات لا
تقوم الا بالمخلوقات فانه يبين للمعتزلي ان هذه الصفات يتصف بها القديم ولا تكون
كصفات المحدثات فهكذا يقول له المثبتون لسائر الصفات من المحبة والرضا
ونحو ذلك فان قال تلك الصفات اثبتها بالعقل لان الفعل الحادث دل على القدرة

والتخصيص

والتخصيص دل على الارادة والاحكام دل على العلم وهذه الصفات مستلزمة
للحياة والحي لا يخلو عن السمع والبصر والكلام او ضد ذلك قال له سائر اهل
الاثبات لك جوابان احدهما ان يقال عدم الدليل المعين لا يستلزم عدم المدلول
المعين فهب ان ما سلكته من الدليل العقلي لا يثبت ذلك فانه لا ينفيه وليس لك
ان تنفيه بغير دليل لان النافي عليه الدليل كما على المثبت والسمع قد دل عليه ولم يعارض
ذلك معارض عقلي ولا سمعي فيجب اثبات ما اثبته الدليل السالم عن المعارض المقاوم
الثاني ان يقال يمكن اثبات هذه الصفات بنظير ما اثبت به تلك من العقليات
فيقال نفع العباد بالاحسان اليهم يدل على الرحمة كدلالة التخصيص على
المشيئة واكرام الطائعين يدل على محبتهم وعقاب الكفار يدل
على بغضهم كما قد ثبت بالشاهد والخبر من اكرام اوليائه وعقاب اعدائه
والغايات المحمودة في مفعولاته ومأموراته وهي ما تنتهي اليه مفعولاته ومأموراته
من العواقب الحميدة تدل على المشيئة واولى لقوة العلة الغائية ولهذا كان
ما في القران من بيان ما في مخلوقاته من النعم والحكم اعظم مما في القران من بيان ما
فيها من الدلالة على محض المشيئة وان كان المخاطب ممن ينكر الصفات
ويقر بالاسماء كالمعتزلي الذي يقول انه حي عليم قدير وينكر ان يتصف

بالحيوة والعلم والقدرة قيل له لا فرق بين اثبات الاسماء وبين اثبات الصفات
فانك ان قلت اثبات الحيوة والعلم والقدرة تقتضي تشبيها او تجسيما لانا لا نجد
في الشاهد متصفا بالصفات الا ما هو جسم قيل لك ولا تجد في الشاهد ما هو مسمى حي
عليم قدير الا ما هو جسم فان نفيت ما نفيت لكونك لم تجده في الشاهد الا للجسم
فانف الاسماء بل وكل شيء لانك لا تجده في الشاهد الا للجسم فكل ما يحتج به
من نفي الصفات يحتج به نافي الاسماء الحسنى فما كان جوابا لذلك كان جوابا لمثبتي
الصفات وان كان المخاطب من الغلاة نفاة الاسماء والصفات وقال لا اقول
هو موجود ولا حي ولا عليم ولا قدير بل هذه الاسماء لمخلوقاته او هي مجاز لان اثبات
ذلك يستلزم التشبيه بالموجود الحي العليم قيل له وكذلك اذا قلت ليس بموجود
ولا حي ولا عليم ولا قدير كان ذلك تشبيها بالمعدومات وذلك اقبح من التشبيه
بالموجودات فان قال انا انفي النفي والاثبات قيل له فيلزمك التشبيه بما اجتمع
فيه النقيضان من الممتنعات فانه يمتنع ان يكون الشيء موجودا معدوما او لا موجودا
ولا معدوما ويمتنع ان يوصف ذلك باجتماع الوجود والعدم او الحيوة والموت او
العلم والجهل او يوصف بنفي الوجود والعدم ونفي الحيوة والموت ونفي العلم والجهل
فان قلت انما يمتنع نفي النقيضين عما يكون قابلا لهما وهذان يتقابلان تقابل العدم

والملكة لا تقابل السلب والايجاب فان الجدار لا يقال له اعمى ولا بصير ولا
حي ولا ميت اذ ليس بقابل لهما قيل لك اولا هذا اصطلاح اصطلحت عليه
المتفلسفة المشاؤون والاصطلاحات اللفظية ليست دليلا على نفي الحقائق العقلية
وقد قال تعالى والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون اموات
غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون فسمى الجماد ميتا وهذا مشهور في لغة
العرب وغيرهم وقيل لك ثانيا فما لا يقبل الاتصاف بالحيوة والموت والعمى والبصر
ونحو ذلك من المتقابلات انقص مما يقبل ذلك فالاعمى الذي يقبل الاتصاف بالبصر
اكمل من الجماد الذي لا يقبل واحدا منهما فانت فررت من تشبيهه بالحيوانات
القابلة لصفات الكمال ووصفته بصفات الجمادات التي لا تقبل ذلك وايضا
فما لا يقبل الوجود والعدم اعظم امتناعا من القابل للوجود والعدم بل ومن
اجتماع الوجود والعدم ونفيهما جميعا وقيل له ايضا اتفاق المسميين في بعض الاسماء
والصفات ليس هو التشبيه والتمثيل الذي نفته الادلة السمعيات والعقليات
وانما نفت ما يستلزم اشتراكهما فيما يختص به الخالق مما يختص بوجوبه او جوازه او امتناعه
فلا يجوز ان يشركه فيه مخلوق فلا يشركه مخلوق في شيء من خصائصه سبحانه
وتعالى واما ما نفيته فهو ثابت بالشرع والعقل وتسميتك ذلك تشبيها

المتقابلات

وتجسيما تمويها على الجهال الذين يظنون ان كل معنى سماه مسميه بهذا الاسم يجب نفيه
ولو ساغ هذا لكان كل مبطل يسمي الحق باسماء ينفر عنها بعض الناس ليكذب
الناس بالحق المعلوم بالسمع والعقل وبهذه الطريق افسدت الملاحدة على طوايف من
الناس عقلهم ودينهم حتى اخرجوهم الى اعظم الكفر والجهالة وابلغ الغي والضلالة وان
قال نفاة الصفات اثبات العلم والقدرة والارادة يستلزم تعدد الصفات
وهذا تركيب ممتنع قيل واذا قلتم هو موجود واجب وعقل وعاقل ومعقول
فليس المفهوم من هذا هو المفهوم من هذا فهذه معان متغايرة في العقل وهذا تركيب
فان قالوا هذا توحيد في الحقيقة وليس هذا تركيبا ممتنعا قيل لهم واتصاف
الذات بالصفات اللازمة لها توحيد في الحقيقة وليس هذا تركيبا ممتنعا وهذا باب
مطرد فان كل واحد من النفاة لما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من الصفات
لا ينفي شيا فرارا مما هو محذور الا وقد اثبت ما يلزمه فيه نظير ما فر منه فلا بد في
اخر الامر من ان يثبت موجودا واجبا قديما متصفا بصفات تميزه عن غيره ولا يكون
فيها مماثلا لخلقه فيقال له هكذا القول في جميع الصفات وكل ما تثبته
من الاسماء والصفات فلا بد ان يدل على قدر تتواطا فيه المسميات ولولا ذلك
لما فهم الخطاب ولكن نعلم ان ما اختص الله به وامتاز عن خلقه اعظم مما يخطر بالبال

ويدور في الخيال وهذا يتبين بالاصل الثاني وهو ان يقال القول في الصفات
كالقول في الذات فان الله ليس كمثله شي لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله
فاذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات فالذات متصفة بصفات حقيقية
لا تماثل صفات ساير الذوات فاذا قال السايل كيف استوى على العرش قيل له
كما قال ربيعة ومالك وغيرهما الاستوا معلوم والكيف مجهول والايمان به
واجب والسوال عن الكيفية بدعة لانه سوال عما لا يعلمه البشر ولا يمكنهم
الاجابة عنه وكذلك اذا قال كيف ينزل ربنا الى سماء الدنيا قيل له
كيف هو فاذا قال انا لا اعلم كيفيته قيل له ونحن لا نعلم كيفية نزوله اذ
العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف وهو فرع له وتابع له فكيف
تطالبني بالعلم بكيفية سمعه وبصره وتكليمه واستوايه ونزوله وانت لا
تعلم كيفية ذاته واذا كنت تقر بان له حقيقة ثابتة في نفس الامر مستحق
مستوجبة لصفات الكمال لا يماثلها شي فسمعه وبصره وكلامه ونزوله
واستواوه ثابت في نفس الامر وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابهه
فيها سمع المخلوقين وبصرهم وكلامهم ونزولهم واستواوهم وهذا الكلام
لازم لهم في العقليات وفي تاويل السمعيات فان من اثبت شيا ونفى شيا بالعقل

الامر في كثير من الصفات التي جاء بها الكتاب والسنة نظير ما يلزمه فيما اثبته ولو طولب بالفرق بين المحذور في هذا وهذا لم يجد بينهما فرقا ولهذا لا يوجد لنفاة بعض الصفات دون بعض الذين يوجبون فيما نفوه اما التفويض واما التاويل المخالف لمقتضى اللفظ قانون مستقيم فاذا قيل لهم لم تاولتم هذا واقررتم هذا والسؤال فيهما واحد لم يكن لهم جواب صحيح فهذا تناقضهم في النفي وكذلك تناقضهم في الاثبات فان من تاول النصوص على معنى من المعاني التي يثبتها فانهم اذا صرفوا النص عن المعنى الذي هو مقتضاه الى معنى آخر لزمهم في المعنى المصروف اليه ما كان يلزمهم في المعنى المصروف عنه فاذا قال قائل تاويل محبته ورضاه وغضبه وسخطه هو ارادته للثواب والعقاب كان ما يلزمه في الارادة نظير ما يلزمه في الحب والمقت والرضا والسخط ولو فسر ذلك بمفعولاته وهو ما يخلقه من الثواب والعقاب فانه يلزمه في ذلك نظير ما فر منه فان الفعل المعقول لا بد ان يقوم اولا بالفاعل والثواب والعقاب المفعول انما يكون على ما يحبه ويرضاه ويسخطه ويبغضه المثيب المعاقب

فصل واما المثلان المضروبان فان الله سبحانه وتعالى اخبرنا عما في الجنة من المخلوقات من اصناف المطاعم والملابس والمناكح والمساكن فاخبرنا ان فيها لبنا وعسلا وخمرا وماء ولحما وفاكهة وحريرا وذهبا وفضة وحورا وقصورا وقد قال ابن عباس رضي الله عنه ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسما فاذا كانت تلك الحقائق التي اخبر الله عنها هي موافقة في الاسما للحقائق الموجودة في الدنيا وليست مماثلة لها بل بينهما من التباين ما لا يعلمه الا الله فالخالق سبحانه وتعالى اعظم مباينة للمخلوقات من مباينة المخلوق للمخلوق ومباينته لمخلوقاته اعظم من مباينة موجود الآخرة لموجود الدنيا اذ المخلوق اقرب الى المخلوق الموافق له في الاسم من الخالق الى المخلوق وهذا بين واضح ولهذا افترق الناس في هذا المقام ثلث فرق فالسلف والائمة واتباعهم آمنوا بما اخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر مع علمهم بالمباينة التي بين ما في الدنيا وبين ما في الآخرة وان مباينة الله لخلقه اعظم والله سبحانه وتعالى لا تضرب له الامثال التي فيها مماثلة لخلقه فان الله لا مثل له بل له المثل الاعلى فلا يجوز ان يشترك هو والمخلوق في قياس تمثيل ولا في قياس شمول يستوي افراده ولكن يستعمل في حقه المثل الاعلى وهو ان كل ما اتصف به المخلوق من كمال فالخالق اولى به وكل ما ينزه عنه المخلوق من نقص فالخالق اولى بالتنزيه عنه فاذا كان المخلوق منزها عن مماثلة المخلوق مع الموافقة في الاسم فالخالق اولى ان ينزه عن مماثلة المخلوق

وان حصلت موافقة في الاسم وهكذا القول في المثل الثاني وهو الروح
التي فينا فانها قد وصفت بصفات ثبوتية وسلبية وقد اخبرت النصوص
انها تعرج من سماء الى سماء وانها تقبض من البدن وتسل منه كما تسل الشعرة من
العجين والناس مضطربون فيها فمن طوائف من اهل الكلام يجعلونها جزءا من البدن
او صفة من صفاته كقول بعضهم انها النفس او الريح التي تردد في البدن وقول
بعضهم انها الحياة او المزاج او نفس البدن ومنهم طوائف من اهل الفلسفة يصفونها بما يصفون
به واجب الوجود عندهم وهي امور لا يتصف بها الا ممتنع الوجود فيقولون لا هي داخل البدن ولا
خارجه ولا مباينة له ولا مداخلة ولا متحركة ولا ساكنة ولا تصعد ولا تهبط ولا جسم
ولا عرض وقد يقولون انها لا تدرك الامور المعينة والحقائق الموجودة في الخارج وانما
تدرك الامور الكلية المطلقة وقد يقولون انها لا داخل العالم ولا خارجه ولا مباينة
له ولا مداخلة وربما قالوا ليست داخلة في اجسام العالم ولا خارجة عنها مع تفسيرهم الجسم
بما يقبل الاشارة الحسية فيصفونها بانه لا يمكن الاشارة اليها ونحو ذلك من الصفات
السلبية التي تلحقها بالمعدوم والممتنع واذا قيل لهم اثبات مثل هذا ممتنع في ضرورة العقل
قالوا بل هذا ممكن بدليل ان الكليات موجودة وهي غير مشار اليها وقد غفلوا عن
كون الكليات لا توجد كلية الا في الاذهان لا في الاعيان فيعتمدون فيما يقولونه

في المبدأ والمعاد على مثل هذا الخيال الذي لا يخفى فساده على غالب الجهال
واضطراب النفاة والمثبتة في الروح كثير وسبب ذلك ان الروح التي
تسمى بالنفس الناطقة عند الفلاسفة ليست هي من جنس هذا البدن ولا من جنس
العناصر والمولدات منها بل هي من جنس آخر مخالف لهذه الاجناس فصار
هؤلاء لا يعرفونها الا بالسلوب التي توجب مخالفتها للاجسام المشهودة
واولئك يجعلونها من جنس الاجسام المشهودة وكلا القولين خطأ واطلاق
القول عليها بانها جسم او ليست بجسم يحتاج الى تفصيل فان لفظ الجسم للناس فيه
اقوال متعددة اصطلاحية غير معناه اللغوي فان اهل اللغة يقولون الجسم
هو الجسد والبدن وبهذا الاعتبار فالروح ليست جسما ولهذا يقولون الروح
والجسم كما قال تعالى واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم وقال
وزاده بسطة في العلم والجسم واما اهل الكلام فمنهم من يقول الجسم هو الموجود
(القائم بنفسه ومنهم من يقول هو)
ومنهم من يقول هو المركب من المادة والصورة ومنهم من يقول هو المركب من الجواهر
المفردة ومنهم من يقول ليس مركبا لا من هذا ولا من هذا بل هو ما يشار اليه
ويقال انه هنا او هناك فعلى هذا اذا كانت الروح مما يشار اليه ويتبعه
بصر الميت كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الروح اذا خرج تبعه البصر

وانها تصعد وتعرج بها الى السماء فكانت الروح جسما بهذا الاصطلاح والمقصود
ان الروح اذا كانت موجودة حية عالمة قادرة سميعة بصيرة تصعد وتنزل
وتذهب وتجيء ونحو ذلك من الصفات والعقول قاصرة عن تكييفها وتحديدها
لانهم لم يشاهدوا لها نظيرا والشيء انما تدرك حقيقته اما بمشاهدته او بمشاهدة
نظيره فاذا كانت الروح متصفة بهذه الصفات مع عدم مماثلتها لما يشاهد
من المخلوقات فالخالق اولى بمباينته لمخلوقاته مع اتصافه بما يستحقه من اسمائه
وصفاته واهل العقول هم اعجز عن ان يحدوه او يكيفوه منهم عن ان يحدوا الروح
او يكيفوها فاذا كان من نفى صفات الروح جاحدا معطلا لها ومن مثلها
بما يشاهده من المخلوقات جاهلا ممثلا لها بغير شكلها وهي مع ذلك ثابتة بحقيقة
الاثبات مستحقة لما لها من الصفات فالخالق سبحانه وتعالى اولى ان يكون من نفى
صفاته جاحدا معطلا ومن قاسه بخلقه جاهلا به ممثلا وهو سبحانه ثابت
بحقيقة الاثبات مستحق لما له من الاسماء والصفات **فصل**
واما الخاتمة الجامعة ففيها قواعد نافعة **القاعدة الاولى** ان الله سبحانه موصوف بالاثبات
والنفي فالاثبات كاخباره انه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وانه سميع بصير
ونحو ذلك والنفي كقوله لا تاخذه سنة ولا نوم وينبغي ان يعلم ان النفي ليس فيه

مدح

مدح ولا كمال الا اذا تضمن اثباتا والا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا
كمال لان النفي المحض عدم محض والعدم المحض ليس بشيء وما ليس بشيء فهو
كما قيل ليس بشيء فضلا عن ان يكون مدحا او كمالا ولان النفي المحض يوصف
به المعدوم والممتنع والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال فلهذا كان عامة
ما وصف الله به نفسه من النفي متضمنا لاثبات مدح كقوله الله لا اله الا هو
الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم الى قوله ولا يؤوده حفظهما فنفي السنة
والنوم يتضمن كمال الحياة والقيام فهو مبين لكمال انه الحي القيوم وكذلك
قوله ولا يؤوده حفظهما اي لا يكرثه ولا يثقله وذلك مستلزم لكمال قدرته وتمامها بخلاف
المخلوق القادر اذا كان يقدر على الشيء بنوع كلفة ومشقة فان هذا
نقص في قدرته وعيب في قوته وكذلك قوله لا يعزب عنه مثقال
ذرة في السموات والارض فان نفي العزوب مستلزم لعلمه بكل ذرة في
السموات والارض وكذلك قوله تعالى لقد خلقنا السموات والارض وما
بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب فان نفي مس اللغوب الذي هو التعب
والاعياء دل على كمال القدرة ونهاية القوة بخلاف المخلوق الذي يلحقه من
النصب والكلال ما يلحقه وكذلك قوله لا تدركه الابصار انما نفى الادراك

المنفي هو الاحاطة كما قاله اكثر العلماء ولم ينف مجرد الرويه لان المعدوم لا
يرى وليس في كونه لا يرى مدح اذ لو كان كذلك لكان المعدوم ممدوحا وانما
المدح في كونه لا يحاط به وان رئي كما انه لا يحاط به وان علم وكما انه اذا علم
لا يحاط به علما فكذلك اذا رئي لا يحاط به رؤية فكان في نفي الادراك
من اثبات عظمته ما يكون مدحا وصفة كمال وكان ذلك دليلا على اثبات الرويه
لا على نفيها لكنه دليل على اثبات الرويه مع عدم الاحاطة وهذا هو الحق
الذي اتفق عليه سلف الامه وايمتها واذا تاملت ذلك وجدت كل نفي لا يستلزم
ثبوتا هو مما لم يصف الله به نفسه فالذين لا يصفونه الا بالسلوب لم يثبتوا في الحقيقة
الاها محمودا بل ولا موجودا وكذلك من شاركهم في بعض ذلك كالذين قالوا
انه لا يتكلم او لا يرى وليس فوق العالم او لم يستو على العرش ويقولون ليس بداخل
العالم ولا خارجه ولا مباين للعالم ولا محايث له اذ هذه الصفات يمكن ان يوصف
بها المعدوم وليست هي مستلزمة صفة ثبوت ولهذا قال محمود بن سبكتكين
لمن ادعى ذلك في الخالق ميز لنا بين هذا الرب الذي تثبته وبين المعدوم وكذلك
كونه لا يتكلم او لا ينزل ليس في ذلك صفة مدح ولا كمال بل هذه الصفات فيها تشبيه
له بالمنقوصات او المعدومات فهذه الصفات منها ما لا يتصف به الا المعدوم ومنها
ما لا يتصف به الا الجماد او الناقص فمن قال لا هو مباين للعالم ولا مداخل للعالم
فهو بمنزلة من قال لا هو قايم بنفسه ولا بغيره ولا قديم ولا محدث ولا متقدم
على العالم ولا مقارن له ومن قال انه ليس بحي ولا سميع ولا بصير ولا متكلم لزمه
ان يكون ميتا اصم اعمى ابكم فان قال العمى عدم البصر عما من شانه ان يقبل البصر وما
لم يقبل البصر كالحايط لا يقال له اعمى ولا بصير قيل له هذا اصطلاح اصطلحتموه
والا فما يوصف بعدم الحياة والسمع والبصر والكلام يمكن وصفه بالموت والعمى والخرس
والعجمه وايضا فكل موجود يقبل الاتصاف بهذه الامور ونقايضها فان الله
قادر على جعل الجماد حيا كما جعل عصى موسى حية ابتلعت الحبال والعصي وايضا
فالذي لا يقبل الاتصاف بهذه الصفات اعظم نقصا مما يقبل الاتصاف بها
مع اتصافه بنقايضها فالجماد الذي لا يوصف بالبصر ولا العمى ولا الكلام
ولا الخرس اعظم نقصا من الحي الاعمى الاخرس فاذا قيل ان الباري لا يمكن اتصافه
بذلك كان في ذلك من وصفه بالنقص اعظم مما اذا وصف بالخرس والعمى والصمم
ونحو ذلك مع انه اذا جعل غير قابل لها كان تشبيها له بالجماد الذي لا يقبل الاتصاف
بواحد منها وهذا تشبيه بالجمادات لا بالحيوانات فكيف من قال ذلك على غيره
مما يزعم انه تشبيه بالحي وايضا فنفس نفي هذه الصفات نقص كما ان اثباتها كمال

الكمال من حيث هي مع قطع النظر عن تعيين الموصوف بها صفة كمال وذلك
العلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والفعل ونحو ذلك وما كان صفة كمال
فهو سبحانه وتعالى احق بان يتصف به من المخلوقات فلو لم يتصف به مع اتصاف
المخلوق به لكان المخلوق اكمل منه واعلم ان الجهمية المحضة كالقرامطة ومن
ضاهاهم ينفون عنه تعالى اتصافه بالنقيضين حتى يقولوا ليس بموجود ولا ليس
بموجود ولا حي ولا ليس بحي ومعلوم ان الخلو عن النقيضين ممتنع في بداية العقول
كالجمع بين النقيضين وآخرون وصفوه بالنفي فقط فقالوا ليس بحي ولا
سميع ولا بصير وهؤلاء اعظم كفرا من اولئك من وجه واولئك اعظم من هؤلاء
من وجه فاذا قيل لهؤلاء هذا مستلزم وصفه بنقيض ذلك كالموت والصمم
والبكم قالوا انما يلزم ذلك لو كان قابلا لذلك وهذا الاعتذار يزيد قولهم فسادا
وكذلك من ضاهى هؤلاء وهم الذين يقولون ليس بداخل العالم ولا خارجه اذا
قيل هذا ممتنع في ضرورة العقل كما اذا قيل ليس بقديم ولا محدث ولا واجب ولا
ممكن ولا قائم بنفسه ولا قائم بغيره قالوا هذا انما يكون اذا كان قابلا لذلك والقبول
انما يكون من المتحيز فاذا انتفى التحيز انتفى قبول هذين المتناقضين فيقال لهم علم الخلق
بامتناع الخلو من هذين النقيضين هو علم مطلق لا يستثنى منه موجود والتحيز المذكور ان

ان اريد به كون الاحياز الموجودة تحيط به فهذا هو الداخل في العالم وان اريد
به انه منحاز عن المخلوقات اي مباين لها متميز عنها فهذا هو الخروج فالمتحيز يراد
به تارة ما هو داخل في العالم وتارة ما هو خارج العالم فاذا قيل ليس بمتحيز كان
معناه ليس بداخل العالم ولا خارجه فهم غيروا العبارة ليوهموا من لا يفهم حقيقة
قولهم ان هذا معنى آخر وهو المعنى الذي علم فساده بضرورة العقل كما فعل اولئك
في قولهم ليس بحي ولا ميت ولا موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ٥

القاعدة الثانية ان ما اخبر به الرسول عن ربه فانه يجب الايمان
به سواء عرفنا معناه او لم نعرف لانه الصادق المصدوق فما جاء في الكتاب
والسنة وجب على كل مؤمن الايمان به وان لم يفهم معناه وكذلك ما ثبت
باتفاق سلف الامة وائمتها مع ان هذا الباب يوجد عامته منصوصا في
الكتاب والسنة متفقا عليه بين سلف الامة وما تنازع فيه المتأخرون
نفيا واثباتا فليس على احد بل ولا له ان يوافق احدا على اثبات لفظه او نفيه
حتى يعرف مراده فان اراد حقا قبل وان اراد باطلا رد وان اشتمل كلامه على
حق وباطل لم يقبل مطلقا ولم يرد جميع معناه بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى
كما تنازع الناس في الجهة والتحيز وغير ذلك فلفظ الجهة قد يراد به شيء موجود

غير الله فيكون مخلوقا كما اذا اريد بالجهة نفس العرش او نفس السموات وقد يراد
به ما ليس بموجود غير الله كما اذا اريد بالجهة ما فوق العالم ومعلوم انه ليس
في النص اثبات لفظ الجهة ولا نفيه كما فيه اثبات العلو والاستوا والفوقية
والعروج اليه ونحو ذلك وقد علم ان ما ثم موجود الا الخالق والمخلوق والخالق
مباين للمخلوق سبحانه وتعالى ليس في مخلوقاته شي من ذاته ولا في ذاته شي من
مخلوقاته فيقال لمن نفى اتريد بالجهة انها شي موجود مخلوق فالله ليس داخلا
في المخلوقات ام تريد بالجهة ما ورا العالم فلا ريب ان الله فوق العالم باين
من المخلوقات وكذلك يقال لمن قال في جهة اتريد بذلك ان الله فوق
العالم او تريد به ان الله داخل في شي من المخلوقات فان اردت الاول فهو
حق وان اردت الثاني فهو باطل وكذلك لفظ المتحيز ان اراد به ان الله تحوزه
المخلوقات فالله اعظم واكبر بل قد وسع كرسيه السموات والارض
وقد قال تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة
والسموات مطويات بيمينه وقد ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال يقبض الله الارض ويطوي السما بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك
الارض وفي حديث ابن عباس ما السموات السبع والارضون السبع وما فيهن

في

في يد الرحمن الا كخردلة في يد احدكم وفي حديث اخر وانه ليدحوها كما
يدحو الصبيان بالكرة وان اراد به انه منحاز عن المخلوقات اي مباين لها منفصل
عنها ليس حالا فيها فهو سبحانه كما قال ائمة السلف ان الله فوق سمواته على عرشه
باين من خلقه [القاعدة الثالثة] اذا قال القايل ظاهر النصوص مراد او ظاهرها ليس بمراد
فانه يقال لفظ الظاهر فيه اجمال واشتراك فان كان القايل يعتقد
ان ظاهرها التمثيل بصفات المخلوقين [او ما هو من خصايصهم] فلا ريب ان هذا غير مراد ولكن السلف
والائمة [لم يكونوا] يسمون هذا ظاهرها ولا يرتضون ان يكون ظاهر القران والحديث
كفرا وباطلا والله اعلم واحكم من ان يكون كلامه الذي وصف به نفسه
لا يظهر منه الا ما هو كفر او ضلال والذين يجعلون ظاهرها ذلك يغلطون
من وجهين تارة يجعلون المعنى الفاسد ظاهر اللفظ حتى يجعلوه محتاجا الى
تاويل يخالف الظاهر ولا يكون كذلك وتارة يردون المعنى الحق الذي هو ظاهر
اللفظ لاعتقادهم انه باطل كما قالوا [والاول] في قوله عبدي جعت فلم تطعمني الحديث
وفي الاثر الاخر الحجر الاسود يمين الله في الارض فمن صافحه او قبله فكانما
صافح الله وقبل يمينه وقوله قلوب العباد بين اصبعين من اصابع
الرحمن فقالوا قد علم ان ليس في قلوبنا اصابع الحق فيقال لهم لو اعطيتم النصوص

جعلوا الدلالة لعلمهم انه المراد الاعلى حق اما الواحد فقوله الحجر الاسود يمين
الله في الارض فمن صافحه وقبله فكانما صافح الله وقبل يمينه صريح في ان
الحجر ليس هو صفة لله ولا هو نفس يمينه لانه قال يمين الله في الارض وقال فمن
قبله وصافحه فكانما صافح الله وقبل يمينه ومعلوم ان المشبه ليس هو المشبه
به ففي نفس الحديث بيان ان مستلمه ليس مصافحا لله وانه ليس هو نفس يمينه فكيف يجعل
ظاهره كفرا وانه محتاج الى التاويل مع ان هذا الحديث انما يعرف عن ابن عباس
واما الحديث الاخر فهو في الصحيح مفسرا يقول الله عبدي جعت فلم تطعمني فيقول
رب كيف اطعمك وانت رب العالمين فيقول اما علمت ان عبدي فلانا جاع ولو اطعمته
لوجدت ذلك عندي عبدي مرضت فلم تعدني فيقول رب كيف اعودك وانت
رب العالمين فيقول اما علمت ان عبدي فلانا مرض ولو عدته لوجدتني عنده وهذا
صريح في ان الله سبحانه لم يمرض ولم يجع ولكن مرض عبده وجاع فجعل جوعه
جوعه ومرضه مرضه مفسرا ذلك بانك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي ولو عدته
لوجدتني عنده فلم يبق في الحديث لفظ يحتاج الى تاويل واما قوله قلوب العباد بين
اصبعين من اصابع الرحمن فانه ليس في ظاهره ان القلب متصل بالاصابع ولا
مماس لها ولا انها في جوفه ولا في قول القائل هذا بين يدي ما يقتضي مباشرته

ليديه واذا قيل السحاب المسخر بين السماء والارض لم يقتض ان يكون مماسا للسماء
والارض ونظائر هذا كثيرة ومما يشبه هذا ان جعل اللفظ نظيرا لما ليس مثله
كما قيل في قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي فقيل هو مثل قوله اولم يروا
انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهذا ليس مثل هذا لانه هنا اضاف الفعل
الى الايدي فصار شبيها بقوله بما كسبت ايديهم وهنا اضاف الفعل اليه
فقال لما خلقت ثم قال بيدي وايضا فان هنا ذكر نفسه المقدسة
بصيغة المفرد وفي اليدين ذكر لفظ التثنية كما قال في قوله بل يداه مبسوطتان
وهناك اضاف الايدي الى صيغة الجمع فصار كقوله تجري باعيننا وهذا
في الجمع نظير قوله بيده الملك وبيده الخير في المفرد فالله سبحانه يذكر نفسه تارة
بصيغة المفرد مظهرا او مضمرا وتارة بصيغة الجمع كقوله انا فتحنا لك فتحا مبينا
وامثال ذلك ولا يذكر نفسه بصيغة التثنية قط لان صيغة الجمع تقتضي
التعظيم الذي يستحقه وربما تدل على معاني اسمائه واما صيغة التثنية فتدل
على العدد المحصور وهو مقدس عن ذلك فلو قال ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
كان كقوله مما عملت ايدينا وهو نظير قوله بيده الملك وبيده الخير ولو قال
خلقت بيدي بصيغة الافراد لكان مفارقا له فكيف اذا قال خلقت بيدي بصيغة

التشبيه مع دلالة الاحاديث المستفيضة بل المتواترة واجماع السلف على مثل
ما دل عليه القرآن كما هو مبسوط في موضعه مثل قوله المقسطون عند الله على منابر
من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم واهليهم وما ولوا
مثل ذلك وان كان القائل يعتقد ان ظاهر النصوص المتنازع في معناها من جنس
ظاهر النصوص المتفق على معناها والظاهر هو المراد في الجميع فان الله لما اخبر انه بكل
شيء عليم وانه على كل شيء قدير واتفق اهل السنة وائمة المسلمين على ان هذا على
ظاهره وان ظاهر ذلك مراد كان من المعلوم انهم لم يريدوا بهذا الظاهر ان يكون
علمه كعلمنا وقدرته كقدرتنا وكذلك لما اتفقوا على انه حي حقيقة عالم حقيقة
قادر حقيقة لم يكن مرادهم انه مثل المخلوق الذي هو حي عليم قدير فكذلك
اذا قالوا في قوله يحبهم ويحبونه رضي الله عنهم ورضوا عنه وفي قوله ثم استوى
على العرش انه على ظاهره لم يقتض ذلك ان يكون ظاهره استواء كاستواء المخلوق
ولا حبا كحبه ولا رضا كرضاه فان كان المستمع يظن ان ظاهر الصفات
تماثل صفات المخلوقين لزمه ان لا يكون شيء من ظاهر ذلك مرادا وان كان يعتقد
ان ظاهرها ما يليق بالخالق لم يكن له نفي هذا الظاهر ونفي ان يكون مرادا الا بدليل
يدل على النفي وليس في العقل ولا السمع ما ينفي هذا الا من جنس ما ينفي به سائر الصفات

ويختص به

فيكون

فيكون الكلام في الجميع واحدا وبيان هذا ان صفاتنا منها ما هي اعيان
واجسام وهي ابعاض لنا كالوجه واليد ومنها ما هو معان واعراض وهي
قائمة بنا كالسمع والبصر والكلام والعلم والقدرة ثم من المعلوم ان
الرب لما وصف نفسه بانه حي عليم قدير لم يقل المسلمون ان ظاهر هذا
غير مراد لان مفهوم ذلك في حقه مثل مفهومه في حقنا فكذلك لما وصف
نفسه بانه خلق آدم بيديه لم يوجب ذلك ان يكون ظاهره غير مراد لان
مفهوم ذلك في حقه كمفهومه في حقنا بل صفة الموصوف تناسبه فاذا
كانت نفسه المقدسة ليست مثل ذوات المخلوقين فصفاته كذاته ليست
كصفات المخلوقين ونسبة صفة المخلوق اليه كنسبة صفة الخالق اليه
وليس المنسوب كالمنسوب ولا المنسوب اليه كالمنسوب اليه كما قال صلى الله
عليه وسلم ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر فشبه الرؤية بالرؤية ولا المرئي كالمرئي
وهذا يتبين بالقاعدة الرابعة وهو ان كثيرا من الناس يتوهم في بعض
الصفات او كثير منها او اكثرها او كلها انها تماثل صفات المخلوقين ثم يريد ان ينفي
ذلك الذي فهمه فيقع في اربعة انواع من المحاذير احدها كونه مثل ما فهمه من
النصوص بصفات المخلوقين وظن ان مدلول النصوص هو التمثيل الثاني انه اذا

جعل ذلك هو مفهومها وعطله بقيت النصوص معطلة عما دلت عليه من اثبات الصفات
اللايقة بالله فيبقى مع جنايته على النصوص وظنه السيء الذي ظنه بالله ورسوله حيث
ظن ان الذي يفهم من كلامهما هو التمثيل الباطل قد عطل ما اودع الله ورسوله في كلامهما
من اثبات الصفات لله والمعاني الالاهية اللايقة بجلال الله الثالث انه ينفي تلك
الصفات عن الله بغير علم فيكون معطلا لما يستحقه الرب الرابع انه يصف الرب بنقيض
تلك الصفات من صفات الاموات والجمادات او صفات المعدومات فيكون قد عطل صفات
الكمال التي يستحقها الرب ومثله بالمنقوصات والمعدومات وعطل النصوص عما دلت
عليه من الصفات وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات فيجمع في الله وفي كلام الله بين التعطيل
والتمثيل فيكون ملحدا في اسماء الله واياته مثال ذلك ان النصوص كلها دلت على وصف
الله بالعلو والفوقية على المخلوقات واستوايه على العرش فاما علوه ومباينته للمخلوقات
فيعلم بالعقل الموافق للسمع واما الاستوا على العرش فطريق العلم به هو السمع وليس في
الكتاب والسنة وصف له بانه لا داخل العالم ولا خارجه ولا مباينه ولا مداخله فيظن
المتوهم انه اذا وصف بالاستواء على العرش كان استواوه كاستواء الانسان على ظهور
الفلك والانعام كقوله وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره فيتخيل

انه

انه اذا كان مستويا على العرش كان محتاجا اليه كحاجة المستوي على الفلك والانعام
فلو غرقت السفينة لسقط المستوي عليها ولو عثرت الدابة لسقط المستوي عليها
فقياس هذا انه لو عدم العرش لسقط الرب تبارك وتعالى ثم يريد بزعمه ان ينفي
هذا فيقول ليس استواوه بقعود ولا استقرار ولا يعلم ان مسمى القعود والاستقرار
يقال فيه ما يقال في مسمى الاستواء فان كانت الحاجة داخلة في ذلك فلا
فرق بين الاستواء والقعود والاستقرار وليس هو بهذا المعنى مستويا ولا مستقرا
ولا قاعدا وان لم يدخل في مسمى ذلك الا ما يدخل في مسمى الاستواء فاثبات احدهما
ونفي الاخر تحكم وقد علم ان بين مسمى الاستوا والاستقرار والقعود فروقا معروفة
ولكن المقصود هنا ان يعلم خطا من ينفي الشي مع اثبات نظيره وكان هذا من الخطا
من خطاه في مفهوم استوايه على العرش حيث ظن انه مثل استواء الانسان على ظهور
الانعام والفلك وليس في اللفظ ما يدل على ذلك لانه اضاف الاستواء الى نفسه
الكريمة كما اضاف اليه سائر افعاله وصفاته فذكر انه خلق ثم استوى كما ذكر انه
قدر فهدى وانه بنى السماء بايد وكما ذكر انه مع موسى وهارون يسمع ويرى وامثال
ذلك فلم يذكر استواء مطلقا يصلح للمخلوق ولا عاما يتناول المخلوق كما لم يذكر مثل
ذلك في سائر صفاته وانما ذكر استواء اضافه الى نفسه الكريمة فلو قدر انه

الفرش ممتنع انه مثل حاجة خلقه تعالى عن ذلك لكان استواؤه مثل استواء خلقه
اما اذا كان ثم لا خلقه بل قد علم انه الغني عن الخلق وانه الخالق للعرش ولغيره
وان كل ما سواه مفتقر اليه وهو الغني عن كل ما سواه وهو لم يذكر الا استواء يخصه
لم يذكر استواء يعمه او غيره ولا يصلح له كما لم يذكر في علمه وقدرته ورؤيته وسمعه و خلقه
الا ما يختص به فكيف يجوز ان يتوهم انه اذا كان مستويا على العرش كان محتاجا اليه
وانه لو سقط العرش لخر من عليه سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا هل هذا الا
جهل محض وضلال ممن فهم ذلك وتوهمه او ظنه ظاهر اللفظ ومدلوله او جوز
ذلك على رب العالمين الغني عن الخلق بل لو قدر ان جاهلا فهم مثل او توهمه لبين
له ان هذا لا يجوز وانه لم يدل اللفظ عليه اصلا كما لم يدل على نظايره في ساير ما وصف
الرب نفسه فلما قال تعالى والسماء بنيناها بايد فهل يتوهم ان بناءه مثل بناء
الادمي المحتاج الذي يحتاج الى زنبيل ومجارف واعوان وضرب لبن وجبل طين ثم قد
علم ان الله تعالى خلق العالم بعضه فوق بعض ولم يجعل عاليه مفتقرا الى سافله فالهواء
فوق الارض وليس مفتقرا الى ان تحمله الارض والسحاب ايضا فوق الارض وليس مفتقرا
الى ان تحمله والسموات فوق الارض وليست مفتقرة الى حمل الارض لها فالعلي الاعلى
رب كل شي ومليكه اذا كان فوق جميع خلقه كيف يجب ان يكون محتاجا الى خلقه او عرشه

او كيف

او كيف يستلزم علوه على خلقه هذا الافتقار وهو ليس بمستلزم في المخلوقات
وقد علم ان ما ثبت لمخلوق من الغنى عن غيره فالخالق سبحانه وتعالى احق به واولى
وكذلك قوله أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور من توهم ان
مقتضى ذلك من هذه الاية ان يكون الله في داخل السموات فهو جاهل ضال بالاتفاق
وان كنا اذا قلنا ان الشمس والقمر في السماء يقتضي ذلك فان حرف في متعلق بما
قبله وما بعده فهو بحسب المضاف والمضاف اليه ولهذا يفرق بين كون الشي في
المكان وكون الجسم في الحيز وكون العرض في الجسم وكون الوجه في المراة وكون
الكلام في الورق فان لكل نوع من هذه الانواع خاصة يتميز بها عن غيره وان
كان حرف في مستعملا في ذلك فلو قال القايل العرش في السماء او في الارض
لقيل في السماء ولو قيل الجنة في السماء ام في الارض لقيل الجنة في السماء ولا يلزم
من ذلك ان يكون العرش داخل السموات بل ولا الجنة وقد ثبت في الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سالتم الله الجنة فاسالوه الفردوس
فانها اعلى الجنة واوسط الجنة وسقفها عرش الرحمن فهذه الجنة سقفها
الذي هو العرش فوق الافلاك مع ان الجنة في السماء والسماء يراد به العلو سواء
كان فوق الافلاك او تحتها قال تعالى فليمدد بسبب الى السماء وقال تعالى

وأنزل لنا من السماء بما فهموا ولما كان قد استقر في نفوس المخاطبين أن الله هو العلي الأعلى
وأنه فوق كل شيء كان المفهوم من قوله أنه في السماء أنه في العلو وأنه فوق كل شيء وكذلك
الجارية لما قال لها أين الله قالت في السماء إنما أرادت العلو مع عدم تخصيصه بالأجسام المخلوقة
وحلوله فيها وإذا قيل العلو فإنه يتناول ما فوق المخلوقات كلها فما فوقها كلها هو في السماء
ولا يقتضي هذا أن يكون هناك ظرف وجودي يحيط به إذ ليس فوق العالم شيء موجود إلا الله
كما لو قيل العرش في السماء فإنه لا يقتضي أن يكون العرش في شيء آخر موجود مخلوق وإن
قدر أن السماء المراد بها الأفلاك كان المراد أنه عليها كما قال ولأصلبنكم في جذوع
النخل وكما قال فسيروا في الأرض وكما قال فسيحوا في الأرض ويقال فلان في الجبل
وفي السطح وإن كان على أعلى شيء فيه القاعدة الخامسة أنا نعلم ما أخبرنا به من وجه
دون وجه فإن الله قال أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير
الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقال أفلم يدبروا القول وقال
كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب
وقال أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها فأمر بتدبر الكتاب
كله وقد قال هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب
وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة

وابتغا

وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل
من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب وجمهور سلف الأمة وخلفها
على أن الوقف عند قوله وما يعلم تأويله إلا الله وهذا هو المأثور عن أبي بن كعب
وابن مسعود وابن عباس رض وغيرهم وروي عن ابن عباس أنه قال التفسير على
أربعة أوجه تفسير تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد
بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله من ادعى علمه فهو
كاذب وقد روي عن مجاهد وطائفة أن الراسخين في العلم يعلمون تأويله
وقد قال مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته أقفه عند
كل آية وأسأله عن تفسيرها ولا منافاة بين القولين عند التحقيق فإن
لفظ التأويل قد صار بتعدد الاصطلاحات مستعملا في ثلاثة معان أحدها
وهو اصطلاح كثير من المتأخرين المتكلمين في الفقه وأصوله أن التأويل
هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به وهذا
هو الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات وترك تأويلها
وهل ذلك محمود أو مذموم وحق أو باطل والثاني أن التأويل بمعنى التفسير وهذا
هو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن كما يقول ابن جرير وأمثاله من المصنفين في

التفسير واختلف علماء التأويل ومجاهد امام المفسرين قال الثوري اذا جاءك
التفسير عن مجاهد فحسبك به وعلى تفسيره يعتمد الشافعي والبخاري وغيرهما فاذا
ذكر انه يعلم تاويل المتشابه فالمراد به معرفة تفسيره **الثالث** من معاني التاويل
هو الحقيقة التي يؤول اليها الكلام كما قال تعالى هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي
تاويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فتاويل ما في القرآن
من اخبار المعاد هو ما اخبر الله به مما يكون فيه من القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار
ونحو ذلك كما قال في قصة يوسف لما سجد ابواه واخوته قال يا ابت هذا تاويل
رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا فجعل عين ما وجد في الخارج هو تاويل الرؤيا فالتاويل
الثاني هو تفسير الكلام وهو الكلام الذي يفسر به اللفظ حتى يفهم معناه او تعرف علته
او دليله وهذا التاويل الثالث هو عين ما هو موجود في الخارج ومنه قول عائشة كان النبي
صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي
يتاول القرآن تعني قوله تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره وقول سفيان بن عيينة
السنة هي تاويل الامر والنهي فان نفس الفعل المامور به هو تاويل الامر به ونفس
الموجود المخبر عنه هو تاويل الخبر والكلام خبر وامر ولهذا يقول ابو عبيد وغيره
من الفقهاء اعلم بالتاويل من اهل اللغة كما ذكروا ذلك في تفسير اشتمال

الصماء لان الفقهاء يعلمون نفس ما امر به ونهي عنه لعلمهم بمقاصد الرسول
وكذلك كما يعلم اتباع ابقراط وسيبويه ونحوهما من مقاصدهم ما لا يعلم بمجرد
اللغة ولكن تاويل الامر والنهي لا بد من معرفته بخلاف تاويل الخبر
اذا عرف ذلك فتاويل ما اخبر الله به عن نفسه المقدسة بما لها من حقائق
الاسماء والصفات هو حقيقة نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الصفات
وتاويل ما اخبر الله به من الوعد والوعيد هو نفس ما يكون من الوعد والوعيد
ولهذا ما يجيء في الحديث نعمل بمحكمه ونؤمن بمتشابهه لان ما اخبر الله به عن
نفسه وعن اليوم الآخر فيه الفاظ متشابهة تشبه معانيها ما نعلمه في
الدنيا كما اخبر ان في الجنة لحما ولبنا وعسلا وخمرا ونحو ذلك
وهذا يشبه ما في الدنيا لفظا ومعنى ولكن ليس هو مثله ولا حقيقته كحقيقته
فاسماء الله وصفاته اولى وان كان بينها وبين اسماء العباد وصفاتهم
تشابه ان لا يكون لاجلها الخالق مثل المخلوق ولا حقيقته كحقيقته والاخبار
عن الغائب لا يفهم ان لم يعبر عنه بالاسماء المعلوم معانيها في الشاهد ويعلم
بها ما في الغائب بواسطة العلم بما في الشاهد مع العلم بالفارق المميز وان ما
اخبر الله به من الغيب اعظم مما يعلم في الشاهد وفي الغائب ما لا عين رأت ولا اذن

بمعت ولا خطر على قلب بشر فنحن اذا اخبرنا عز الله بالغيب الذي اختص
به من الجنة والنار علمنا معنى ذلك وفهمنا ما اريد منا فهمه بذلك الخطاب
وفسرنا ذلك واما نفس الحقيقة المخبر عنها مثل التي لم تكن بعد وانما تكون
يوم القيامة فذلك من التاويل الذي لا يعلمه الا الله ولهذا لما سيل مالك وغيره
من السلف عن قوله الرحمن على العرش استوى قالوا الاستوا معلوم والكيف
مجهول والايمان به واجب والسوال عنه بدعة وكذلك قال ربيعة
شيخ مالك قبله الاستوا معلوم والكيف مجهول ومن الله البيان وعلى الرسول
البلاغ وعلينا الايمان فبين ان الاستوا معلوم وان كيفية ذلك مجهولة
ومثل هذا يوجد كثيرا في كلام السلف والايمة ينفون علم العباد بكيفية صفات
الله وانه لا يعلم كيف الله الا الله ولا يعلم كيف ما هو الا هو وقد قال النبي صلى
الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وهذا في صحيح
مسلم وغيره وقال في الحديث الاخر اللهم اني اسالك بكل اسم هو لك
سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت
به في علم الغيب عندك والحديث في المسند وصحيح ابي حاتم وقد اخبر فيه ان لله
من الاسماء ما استاثر به في علم الغيب عنده لا يعلمها غيره والله سبحانه اخبرنا انه عليم قدير

سميع بصير غفور رحيم الى غير ذلك من اسمايه وصفاته فنحن نفهم معنى ذلك
ونميز بين العلم والقدرة وبين الرحمة والسمع والبصر ونعلم ان الاسما كلها اتفقت في
دلالتها على ذات الله مع تنوع معانيها فهي متفقة متواطية من حيث الذات متباينة
من جهة الصفات وكذلك اسما النبي صلى الله عليه وسلم مثل محمد واحمد والماحي
والحاشر والعاقب وكذلك اسما القران مثل القران والفرقان والهدى والنور
والتنزيل والشفا وغير ذلك ومثل هذه الاسما تنازع الناس فيها هل هي من
قبيل المترادفة لاتحاد الذات او من قبيل المتباينة لتعدد الصفات كما اذا قيل
السيف والصارم والمهند وقصد بالصارم معنى الصرم وفي المهند النسبة الى الهند
والتحقيق انها مترادفة في الذات متباينة في الصفات ومما يوضح هذا ان الله وصف
القران كله بانه محكم وبانه متشابه وفي موضع اخر جعل منه ما هو محكم
ومنه ما هو متشابه فينبغي ان يعرف الاحكام والتشابه الذي يعمه والاحكام
والتشابه الذي يخص بعضه قال تعالى الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت من
لدن حكيم خبير فاخبر انه احكم اياته كلها وقال تعالى الله نزل احسن الحديث
كتابا متشابها مثاني فاخبر انه كله متشابه والحكم هو الفصل بين الشيين والحاكم
يفصل بين الخصمين والحكمة فصل بين المشتبهات علما وعملا اذا ميز بين الحق والباطل

والصدق والكذب والنافع والضار وذلك يتضمن فعل النافع وترك الضار
فيقال احكمت السفيه واحكمته اذا اخذت على يديه وحكمت الدابة
واحكمتها اذا جعلت لها حكمة وهو ما احاط بالحنك من اللجام واحكام
الشي اتقانه فاحكام الكلام اتقانه بتمييز الصدق من الكذب في اخباره
وتمييز الرشد من الغي في اوامره والقران كله محكم بمعنى الاتقان فقد
سماه الله حكيما بقوله الر تلك ايات الكتاب الحكيم فالحكيم بمعنى الحاكم
كما جعله يقص بقوله ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم
فيه يختلفون وجعله مفتيا في قوله قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب
اي ما يتلى عليكم يفتيكم فيهن وجعله هاديا ومبشرا في قوله ان هذا القران
يهدي للتي هي اقوم ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات **واما التشابه**
الذي يعمه فهو ضد الاختلاف المنفي عنه في قوله ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وهو الاختلاف المذكور في قوله انكم لفي قول مختلف
يوفك عنه من افك فالتشابه هنا هو تماثل الكلام وتناسبه بحيث يصدق
بعضه بعضا فاذا امر بامر لم يامر بنقيضه في موضع اخر بل يامر به او بنظيره
او بملزوماته واذا نهى عن شي لم يامر به في موضع اخر بل ينهى عنه او عن نظيره

او عن

او عن لوازمه اذا لم يكن هناك نسخ وكذلك اذا اخبر بثبوت شي لم يخبر
بنقيض ذلك بل يخبر بثبوته او بثبوت ملزوماته واذا اخبر بنفي شي لم
يثبته بل ينفيه او ينفي لوازمه بخلاف القول المختلف الذي ينقض بعضه
بعضا فيثبت الشي تارة وينفيه اخرى او يامر به وينهى عنه في وقت واحد
ويفرق بين المتماثلين فيمدح احدهما ويذم الاخر فالاقوال المختلفة هنا
هي المتضادة والمتشابهة هي المتوافقة وهذا التشابه يكون في المعاني وان
اختلفت الالفاظ فاذا كانت المعاني يوافق بعضها بعضا ويعضد
بعضها بعضا ويناسب بعضها بعضا ويشهد بعضها لبعض ويقتضي بعضها
بعضا كان الكلام متشابها بخلاف الكلام المتناقض الذي يضاد بعضه
بعضا فهذا التشابه العام لا ينافي الاحكام العام بل هو مصدق له فان
الكلام المحكم المتقن يصدق بعضه بعضا لا يناقض بعضه بعضا بخلاف الاحكام
الخاص فانه ضد التشابه الخاص والتشابه الخاص هو مشابهة الشي لغيره
من وجه مع مخالفته له من وجه اخر بحيث يشتبه على بعض الناس انه هو او هو
مثله وليس كذلك والاحكام هو الفصل بينهما بحيث لا يشتبه احدهما بالاخر
وهذا التشابه انما يكون بقدر مشترك بين الشيين مع وجود الفاصل بينهما

من الناس من لا يهتدي للفصل بينهما فيكون مشتبها عليه ومنهم من يهتدي الى
ذلك فالتشابه الذي لا يتميز معه قد يكون من الامور النسبية الاضافية بحيث
يشتبه على بعض الناس دون بعض ومثل هذا يعرف منه اهل العلم ما يزيل عنهم
هذا الاشتباه كما اذا اشتبه على بعض الناس ما وعدوا به في الآخرة بما يشهدونه
في الدنيا فظن انه مثله فعلم العلماء انه ليس مثله وان كان مشبها له من بعض
الوجوه ومن هذا الباب الشبه التي يضل بها بعض الناس وهي ما اشتبه فيها الحق
بالباطل والقياس الفاسد انما هو من باب الشبهات لانه تشبيه للشيء في بعض
الامور بما لا يشبهه فيه فمن عرف الفصل بين الشيئين اهتدى للفرق الذي
يزول به الاشتباه والقياس الفاسد وما من شيئين الا ويجتمعان في شيء ويفترقان
في شيء فبينهما اشتباه من وجه وافتراق من وجه فلهذا كان ضلال بني آدم
من قبل التشابه والقياس الفاسد لا ينضبط كما قال الامام احمد اكثر ما يخطئ
الناس من جهة التأويل والقياس فالتأويل في الادلة السمعية والقياس في
الادلة العقلية وهو كما قال والتأويل الخطأ انما يكون في الالفاظ المتشابهة
والقياس الخطأ انما يكون في المعاني المتشابهة وقد وقع بنو آدم في عامة
ما يتناوله هذا الكلام من انواع الضلالات حتى آل الامر بمن يدعي التحقيق والتوحيد

والعرفان

والعرفان منهم الى ان اشتبه عليهم وجود الرب بوجود كل موجود فظنوه اياه
فجعلوا وجود المخلوقات عين وجود الخالق مع انه لا شيء ابعد عن مماثلة شيء او ان
يكون اياه او متحدا به او حالا فيه من الخالق مع المخلوق فمن اشتبه عليهم وجود
الخالق بوجود المخلوقات كلها حتى ظنوا وجودها وجوده فهم اعظم الناس ضلالا
من جهة الاشتباه وذلك ان الموجودات تشترك في مسمى الوجود فرأوا الوجود واحدا
ولم يفرقوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع وآخرون توهموا انه اذا قيل الموجودات
تشترك في مسمى الوجود لزم التشبيه والتركيب فقالوا لفظ الوجود مشترك
مقول بالاشتراك اللفظي فخالفوا ما اتفق عليه العقلاء مع اختلاف اصنافهم
من ان الوجود ينقسم الى قديم ومحدث ونحو ذلك من اقسام الموجودات وطائفة ظنت
انه اذا كانت الموجودات تشترك في مسمى الوجود لزم ان يكون في الخارج عن
الاذهان موجود مشترك فيه وزعموا ان في الخارج عن الاذهان كليات
مطلقة مثل وجود مطلق وحيوان مطلق وجسم مطلق ونحو ذلك فخالفوا
الحس والعقل والشرع وجعلوا ما في الاذهان ثابتا في الاعيان وهذا
كله من نوع الاشتباه ومن هداه الله فرق بين الامور وان اشتركت
من بعض الوجوه وعلم ما بينهما من الجمع والفرق والتشابه والاختلاف وهؤلاء

كذلك المتشابه من الكلام لا يضره تحقق بينه وبين المحكم الفارق الذي
يبين ما بينهما من الفصل والافتراق وهذا كما أن لفظ انا ونحن وغيرهما من صيغ
الجمع يتكلم بها الاثنان والذي له شركا في الفعل ويتكلم بها الواحد العظيم الذي
له صفات تقوم كل صفة مقام واحد وله اعوان تابعون له لا شركا له فاذا
تمسك النصراني بقوله انا نحن نزلنا الذكر ونحوه على تعدد الالهة كان المحكم
كقوله والهكم اله واحد ونحو ذلك مما لا يحتمل الا معنى واحدا يزيل ما هناك
من الاشتباه وكان ما ذكره من صيغة الجمع مبينا لما يستحقه من العظمة
والاسما والصفات وطاعة المخلوقات من الملائكة وغيرهم واما حقيقة ما دل عليه
ذلك من حقائق الاسما والصفات وما له من الجنود الذي يستعملهم في افعاله
فلا يعلمهم الا هو وما يعلم جنود ربك الا هو وهذا من تاويل المتشابه الذي لا
يعلمه الا الله بخلاف الملك من البشر اذا قال قد امرنا لك بعطا فقد علم
انه هو واعوانه مثل كاتبه وحاجبه وخادمه ونحو ذلك امروا به وقد
يعلم ما صدر عنه ذلك الفعل من اعتقاداته وارادته ونحو ذلك والله تعالى
لا يعلم عباده الحقائق التي اخبر عنها من صفاته وصفات اليوم الاخر
ولا يعلمون حقائق ما اراد بخلقه وامره من الحكمة ولا حقائق ما صدرت عنه

من

من المشيئة والقدرة وبهذا يتبين ان التشابه يكون في الالفاظ
المتواطية كما يكون في الالفاظ المشتركة التي ليست بمتواطيه
وان زال الاشتباه لما يميز احد المعنيين من اضافة او تعريف كما اذا
قيل فيها انهار من ماء فهنا قد خص هذا الماء بالجنة وظهر الفرق بينه
وبين ماء الدنيا لكن حقيقة ما امتاز به ذلك الماء غير معلوم لنا
وهو مع ما اعده الله لعباده الصالحين مما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر من التاويل الذي لا يعلمه الا الله وكذلك
مدلول اسمائه وصفاته التي يختص بها التي هي حقيقته لا يعلمها الا هو ولهذا
كان الائمة كالامام احمد وغيره ينكرون على الجهمية وامثالهم من
الذين يحرفون الكلم عن مواضعه تاويل ما تشابه عليهم من القران
على غير تاويله كما قال احمد في كتابه الذي صنفه في الرد على الزنادقة
والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القران وتاولته على غير تاويله
وانما ذمهم لكونهم تاولوه على غير تاويله وذكر في ذلك ما يشتبه عليهم
معناه وان كان لا يشتبه على غيرهم وذمهم على انهم تاولوه على غير تاويله
ولم ينف مطلق لفظ التاويل كما تقدم من ان لفظ التاويل يراد به التفسير المبين

المراد الله به فذاك لا يعاب بل يحمد ويراد بالتأويل الحقيقة التي استأثر
الله بعلمها فذاك لا يعلمه الا هو وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضع ومن
لم يعرف هذا اضطربت اقواله مثل طائفة يقولون ان التأويل باطل وانه يجب
اجراء اللفظ على ظاهره ويحتجون بقوله وما يعلم تأويله الا الله ويحتجون بهذه
الآية على ابطال التأويل وهذا تناقض منهم لان هذه الآية تقتضي ان
هناك تأويلا لا يعلمه الا الله وهم ينفون التأويل مطلقا وجهة الغلط ان
التأويل الذي استأثر الله بعلمه هو الحقيقة التي لا يعلمها الا هو واما
التأويل المذموم والباطل فهو تأويل اهل التحريف والبدع الذين يتأولونه
على غير تأويله ويدعون صرف اللفظ عن مدلوله الى غير مدلوله بغير دليل
يوجب ذلك ويدعون ان في ظاهره من المحذور ما هو نظير المحذور اللازم
فيما اثبتوه بالعقل ويصرفونه الى معان هي نظير المعاني التي نفوها عنه فيكون
ما نفوه من جنس ما اثبتوه فان كان الثابت حقا ممكنا كان المنفي مثله وان
كان المنفي باطلا ممتنعا كان الثابت مثله وهؤلاء الذين ينفون التأويل
مطلقا ويحتجون بقوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله قد يظنون انا خوطبنا
في القرآن بما لا يفهمه احد او بما لا معنى له او بما لا يفهم منه شيء وهذا

مع

مع انه باطل فهو متناقض لانا اذا لم نفهم منه شيئا لم يجز ان نقول له تأويل يخالف
الظاهر ولا يوافقه لامكان ان يكون له معنى صحيح وذلك المعنى الصحيح لا
يخالف الظاهر المعلوم لنا لانه لا ظاهر له على قولهم ~~فان تلك المعاني التي~~
~~دل عليها ولا يكون على وفقها~~ ولا يكون دلالته على ذلك المعنى دلالة على خلاف
الظاهر ولا يكون تأويلا ولا يجوز نفي دلالته على معان لا نعرفها على هذا التقدير
لانا اذا لم نفهم اللفظ ومدلوله فلان لا نعرف المعاني التي لم يدل عليها اللفظ
اولى لان اشعار اللفظ بما يراد به اقوى من اشعاره بما لا يراد به فاذا كان
لا اشعار له بمعنى من المعاني ولا يفهم منه معنى اصلا لم يكن مشعرا بما اريد
به فلان لا يكون مشعرا بما لم يرد به اولى فلا يجوز ان يقال ان هذا اللفظ متأول
بمعنى انه مصروف عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح فضلا عن ان يقال
ان هذا التأويل لا يعلمه الا الله ~~لانا اذا لم نفهم اللفظ ومدلوله فلان لا نعرف~~
~~المعاني التي لم يدل عليها اللفظ اولى~~ اللهم الا ان يراد بالتأويل ما يخالف
الظاهر المختص بالمخلوقين فلا ريب ان من اراد بالظاهر هذا فلا بد ان يكون له
تأويل يخالف ظاهره لكن اذا قال هؤلاء انه ليس لها تأويل يخالف الظاهر
او انها تجري على المعاني الظاهرة منها كانوا متناقضين وان ارادوا بالظاهر

فيها معنى وهذا معنى في سياق واحد من غير بيان كان تلبيسا وإن أرادوا
بالظاهر مجرد اللفظ الذي يظهر من غير فهم لمعناه كان إبطالهم للتأويل أو إثباته
تناقضا لأن من أثبت تأويلا أو نفاه فقد فهم معنى من المعاني وبهذا التقسيم
يتبين تناقض كثير من الناس من نفاة الصفات ومثبتيها في هذا الباب

القاعدة السادسة أنه لقائل أن يقول لا بد في هذا الباب من ضابط يعرف به
ما يجوز على الله مما لا يجوز في النفي والإثبات إذ الاعتماد في هذا الباب على مجرد نفي
التشبيه أو مطلق الإثبات من غير تشبيه ليس بسديد وذلك أنه ما من شيئين
إلا بينهما قدر مشترك وقدر مميز فالنافي إن اعتمد فيما ينفيه على أن هذا تشبيه
قيل له إن أردت أنه مماثل له من كل وجه فهذا باطل وإن أردت أنه مشابه له
من وجه دون وجه أو مشارك له في الاسم لزمك هذا في سائر ما تثبته وأنتم إنما أقمتم
الدليل على إبطال التشبيه والتماثل الذي فسرتموه بأنه يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر
ويمتنع عليه ما يمتنع عليه ويجب له ما يجب له ومعلوم أن إثبات التشبيه بهذا التفسير مما لا يقوله
عاقل يتصور ما يقول فإنه يعلم بضرورة العقل امتناعه ولا يلزم من نفي هذا نفي التشابه
من بعض الوجوه كما في الأسماء والصفات المتواطئة ولكن من الناس من يجعل التشبيه
مفسرا بمعنى من المعاني ثم إن كل من أثبت ذلك المعنى قالوا إنه مشبه ومنازعهم يقول ذلك

المعنى ليس هو من التشبيه وقد يفرق بين لفظ التشبيه والتمثيل وذلك أن المعتزلة
ونحوهم من نفاة الصفات يقولون كل من أثبت صفة لله قديمة فهو مشبه ممثل
فمن قال إن الله تعالى علما قديما وقدرة قديمة كان عندهم مشبها ممثلا لأن
القدم عند جمهورهم هو أخص وصف الإله فمن أثبت له صفة قديمة فقد أثبت له
مثلا قديما عندهم ويسمونه ممثلا بهذا الاعتبار ومثبتة الصفات لا
توافقهم على هذا بل يقولون أخص وصفه ما لا يتصف به غيره مثل كونه
رب العالمين وأنه بكل شيء عليم وأنه على كل شيء قدير وأنه إله واحد
ونحو ذلك والصفة لا توصف بشيء من ذلك ثم من هؤلاء الصفاتية من
لا يقول في الصفات إنها قديمة بل يقول الرب بصفاته قديم ومنهم من يقول
هو قديم وصفته قديمة ولا يقول هو وصفته قديمان ومنهم من يقول
هو وصفاته قديمان ولكن يقول ذلك لا يقتضي مشاركة الصفة له في شيء
من خصائصه فإن القدم ليس من خصائص الذات المجردة بل هو من خصائص الذات
الموصوفة بالصفات وإلا فالذات المجردة لا وجود لها عندهم فضلا عن أن تختص
بالقدم وقد يقولون الذات متصفة بالقدم والصفات متصفة بالقدم وليست الصفات
إلها ولا ربا كما أن النبي محدث وصفاته محدثة وليست صفاته نبيا فهؤلاء

على أن تسميته لهم بالتشبيه والتمثيل كان بحسب اعتقادهم الذي نازعهم
فيه أولئك ثم يقولون لهم أولئك هب أن هذا المعنى قد يسمى في اصطلاح بعض
الناس تشبيها فهذا المعنى لم ينفه عقل ولا سمع وإنما الواجب نفي ما نفته
الأدلة الشرعية والعقلية والقرآن قد نفى مسمى المثل والكفؤ والند
ونحو ذلك ولكن يقولون الصفة في اللغة ليست مثل الموصوف ولا كفوه
ولا نده فلا تدخل في النص والعقل لم ينف مسمى التشبيه في اصطلاح المعتزلة وكذلك
أيضا يقولون إن الصفات لا تقوم إلا بجسم متحيز والأجسام متماثلة فلو قامت به
الصفات للزم أن يكون مماثلا لسائر الأجسام وهذا هو التشبيه وكذلك يقول
هذا كثير من الصفاتية الذين يثبتون الصفات وينفون علوه على العرش أو
قيام الأفعال الاختيارية به ونحو ذلك يقولون الصفات قد تقوم بما ليس بجسم
وأما العلو فلا يصح إلا إذا كان جسما فلو أثبتنا علوه للزم
أن يكون جسما وحينئذ فالأجسام متماثلة فيلزم التشبيه فلهذا تجد هؤلاء يسمون
من أثبت العلو ونحوه مشبها ولا يسمون من أثبت السمع والبصر والكلام ونحوه
مشبها كما يقوله صاحب الإرشاد وأمثاله وكذلك قد يوافقهم على القول
بتماثل الأجسام القاضي أبو يعلى وأمثاله من مثبتة الصفات والعلو لكن

هؤلاء

هؤلاء قد يجعلون العلو صفة خبرية كما هو أول قولي القاضي أبي يعلى فيكون
الكلام فيه كالكلام في الوجه وقد يقولون إن ما يثبتونه لا ينافي الجسم كما يقولونه
في سائر الصفات والعاقل إذا تأمل وجد الأمر فيما نفوه كالأمر فيما أثبتوه
لا فرق وأصل كلام هؤلاء كلهم على أن إثبات الصفات مستلزم التجسيم والأجسام
متماثلة والمثبتون يجيبون عن هذا تارة بمنع المقدمة الأولى وتارة بمنع المقدمة
الثانية وتارة بمنع كل من المقدمتين وتارة بالاستفسار ولا ريب أن قولهم بتماثل
الأجسام قول باطل سواء فسروا الجسم بما يشار إليه أو بالقائم بنفسه أو بالموجود
أو بالمركب من الهيولى والصورة ونحو ذلك فأما إذا فسروه بالمركب من الجواهر
المفردة فهذا ينبني على صحة ذلك وعلى إثبات الجواهر المفردة وعلى
أنها متماثلة وجمهور العقلاء يخالفونهم في ذلك والمقصود أنهم
يطلقون التشبيه على ما يعتقدونه تجسيما بناء على تماثل الأجسام والمثبتون
ينازعونهم في اعتقادهم كإطلاق الرافضة النصب على من تولى أبا بكر وعمر
رضي الله عنهما بناء على أن من أحبهما فقد أبغض عليا رضي
الله عنه ومن أبغضه فهو ناصبي وأهل السنة ينازعونهم في المقدمة الأولى
ولهذا يقول هؤلاء إن الشيئين لا يشتبهان من وجه ويختلفان من وجه وأكثر

باطل

العقلا على خلاف ذلك وقد بسطنا القول على هذا في غير هذا الموضع وبينا فيه
حجج من يقول بتماثل الاجسام وحجج من نفى ذلك وبينا فساد قول من يقول
بتماثلها وايضا فالاعتماد بهذا الطريق على نفي التشبيه اعتماد باطل وذلك
انه اذا ثبت تماثل الاجسام فهم لا ينفون ذلك الا بالحجة التي ينفون بها الجسم
واذا ثبت ان هذا يستلزم الجسم وثبت امتناع الجسم كان هذا وحده كافيا
في نفي ذلك لا يحتاج نفي ذلك الى نفي مسمى التشبيه لكن نفي الجسم يكون مبنيا
على نفي هذا التشبيه بان يقال لو ثبت له كذا وكذا لكان جسما ثم يقال
والاجسام متماثلة فيجب اشتراكها فيما يجب ويجوز ويمتنع وهذا ممتنع عليه
لكن حينئذ يكون من سلك هذا المسلك معتمدا في نفي التشبيه على نفي
التجسيم فيكون اصل نفيه نفي الجسم وهذا مسلك اخر سنتكلم عليه ان شا الله
تعالى وانما المقصود هنا ان مجرد الاعتماد في نفي ما ينفى على مجرد
نفي التشبيه لا يفيد اذ ما من شيئين الا يشتبهان من وجه ويفترقان من
وجه بخلاف الاعتماد على نفي النقص والعيب ونحو ذلك مما هو مقدس عنه
فان هذه طريقة صحيحة وكذلك اذا اثبت له صفات الكمال ونفى مماثلة
غيره له فيها فان هذا نفي المماثلة فيما هو مستحق له وهذا حقيقة التوحيد وهو ان

لا يشركه شي من الاشيا فيما هو من خصايصه وكل صفة من صفات
الكمال فهو متصف بها على وجه لا يماثله فيه احد ولهذا كان مذهب
سلف الامة وايمتها اثبات ما وصف به نفسه من صفات الكمال ونفي
مماثلته لشي من المخلوقات فان قيل ان الشي اذا شابه غيره من وجه جاز عليه
ما يجوز عليه من ذلك الوجه ووجب له ما وجب له وامتنع عليه ما امتنع عليه
قيل هب ان الامر كذلك ولكن اذا كان ذلك القدر المشترك
لا يستلزم اثبات ما يمتنع على الرب سبحانه ولا نفي ما يستحقه لم يكن ممتنعا
كما اذا قيل انه موجود حي عليم سميع بصير وقد سمى بعض عباده حيا عليما سميعا
بصيرا فاذا قيل يلزم انه يجوز عليه ما يجوز على ذلك من جهة كونه موجودا
حيا عليما سميعا بصيرا قيل لازم هذا القدر المشترك ليس ممتنعا على الرب تعالى
فان ذلك لا يقتضي حدوثا ولا امكانا ولا نقصا ولا شيا مما ينافي صفات
الربوبية وذلك ان القدر المشترك هو مسمى الوجود او الموجود او الحياة
او الحي او العلم او العليم او السمع او البصر او السميع او البصير او القدرة او
القدير والقدر المشترك مطلق كلي لا يختص باحدهما دون الاخر فلم يقع
بينهما اشتراك لا فيما يختص بالممكن المحدث ولا فيما يختص بالواجب القديم

لان ما يختص به احدهما يمتنع اشتراكهما فيه فاذا كان القدر المشترك الذي
اشتركا فيه صفة كمال كالوجود والحياة والعلم والقدرة ولم يكن في ذلك
ما يدل على شيء من خصائص الخالق كما لا يدل على شيء من خصائص المخلوق لم يكن
في اثبات هذا محذور اصلا بل اثبات هذا من لوازم الوجود فكل موجودين
لا بد بينهما من مثل هذا ومن نفى هذا لزمه تعطيل وجود كل موجود ولهذا
لما اطلع الائمة على ان هذا حقيقة قول الجهمية سموهم معطلة وكان
جهم ينكر ان يسمى الله شيئا وربما قالت الجهمية هو شيء لا كالاشياء
فاذا نفي القدر المشترك مطلقا لزم التعطيل التام والمعاني التي يوصف
بها الرب تعالى كالحياة والعلم والقدرة بل الوجود والثبوت والحقيقة
ونحو ذلك تجب له لوازمها فان ثبوت الملزوم يقتضي ثبوت اللازم وخصائص
المخلوق التي يجب تنزيه الرب عنها ليست من لوازم ذلك اصلا بل تلك من لوازم
ما يختص بالمخلوق من وجود وحياة وعلم ونحو ذلك والله سبحانه منزه عن خصائص
المخلوق وملزومات خصائصه وهذا الموضع من فهمه فهما جيدا وتدبره
زالت عنه عامة الشبهات وانكشف له غلط كثير من الاذكياء في هذا
المقام وقد بسط هذا في مواضع كثيرة وبين فيها ان القدر المشترك الكلي لا

يوجد في الخارج الا معينا مقيدا وان معنى اشتراك الموجودات في امر
من الامور هو تشابهها من ذلك الوجه وان ذلك المعنى العام يطلق على هذا
وهذا لا ان الموجودات في الخارج يشارك احدهما الاخر في شيء موجود فيه
بل كل موجود متميز عن غيره بذاته وصفاته وافعاله ولما كان الامر
كذلك كان كثير من الناس متناقضا في هذا المقام فتارة يظن ان
القدر المشترك يوجب التشبيه الباطل فيجعل ذلك حجة فيما يظن نفيه
من الصفات حذرا من التشبيه وتارة يتفطن انه لا بد من اثبات هذا على
كل تقدير فيجيب به فيما يثبته من الصفات لمن احتج به من النفاة ولكثرة
الاشتباه في هذا المقام وقعت الشبهة في ان وجود الرب هل هو عين ماهيته
او زائد على ماهيته وهل لفظ الوجود مقول بالاشتراك اللفظي او التواطي
او التشكيك كما وقع الاشتباه في اثبات الاحوال ونفيها وفي ان المعدوم
هل هو شيء ام لا وفي وجود الموجودات هل هو زائد على ماهيتها ام لا وقد كثر
من ائمة النظار الاضطراب والتناقض في هذه المقامات فتارة يقول
احدهم القولين المتناقضين ويحكي عن الناس مقالات ما قالوها وتارة يبقى
في الشك والتحير وقد بسطنا من الكلام في هذه المقامات وما وقع من الاشتباه

والغلط والحيرة فيها لأئمة الكلام والفلسفة ما لا يتسع له هذا الموضع
المختصر وبينا ان الصواب هو ان الوجود كل شيء في الخارج هو ماهيته
الموجودة في الخارج بخلاف الماهية التي في الذهن فانها مغايرة
للموجود في الخارج وان لفظ الوجود كلفظ الذات والشيء والماهية والحقيقة
ونحو ذلك وهذه الالفاظ كلها متواطئة واذا قيل انها مشككة
لتفاضل معانيها فالمشكك نوع من المتواطئ العام الذي يراعى فيه
دلالة اللفظ على القدر المشترك سواء كان المعنى متفاضلا في موارده
او متماثلا وبينا ان المعدوم شيء ايضا في العلم والذهن لا في الخارج كما هو
موجود في العلم والذهن لا في الخارج فلا فرق بين الثبوت والوجود لكن
الفرق بين الوجود العلمي والعيني مع ان ما في العلم ليس هو الحقيقة الموجودة
ولكن هو العلم التابع للعالم القائم به وكذلك الاحوال التي تتماثل فيها
الموجودات وتختلف لها وجود في الاذهان وليس في الاعيان الا الاعيان
الموجودة وصفاتها القائمة بها المعينة فتتشابه بذلك وتختلف به واما
هذه الجمل المختصرة فان المقصود بها التنبيه على جمل مختصرة جامعة من فهمها
علم قدر نفعها وانفتح له باب الهدى وامكان اغلاق باب الضلال ثم بسطها

وشرحها له مقام اخر اذ لكل مقام مقال والمقصود هنا ان الاعتماد
على مثل هذه الحجة فيما ينفى عن الرب وينزه عنه كما يفعله كثير من المصنفين
خطا لمن تدبر ذلك وهذا من طرق النفي الباطلة **فصل**
وافسد من ذلك ما يسلكه نفاة الصفات او بعضها اذا ارادوا ان
ينزهوه عما يجب تنزيهه عنه مما هو اعظم من الكفر مثل ان يريدوا تنزيهه
عن الحزن والبكاء ونحو ذلك ويريدون الرد على اليهود الذين يقولون انه
بكى على الطوفان حتى رمد وعادته الملائكة والذين يقولون بالالهية بعض
البشر وانه الله فان كثيرا يحتج على هؤلاء بنفي التجسيم او التحيز ونحو ذلك
ويقولون لو اتصف بهذه النقائص والافات لكان جسما او متحيزا وذلك
ممتنع وبسلوكهم مثل هذه الطريق استظهر عليهم الملاحدة نفاة الاسماء
والصفات فان هذه الطريق لا يحصل بها المقصود لوجوه احدها ان وصف
الله تعالى بهذه النقائص والافات اظهر فسادا في العقل والدين من نفي التحيز
والتجسيم فان هذا فيه من الاشتباه والنزاع والخفاء ما ليس في ذلك وكفر
صاحب ذلك معلوم بالضرورة من دين الاسلام والدليل معرف للمدلول
ومبين له فلا يجوز ان يستدل على الاظهر الابين بالاخفى كما لا يفعل مثل

ذلك في الجحود والوجه الثاني ان هؤلا الذين يصفونه بهذه الآفات يمكنهم
ان يقولوا نحن لا نقول بالتجسيم والتحيز كما يقوله من يثبت الصفات وينفي
التجسيم فيصير نزاعهم مثل نزاع مثبتة صفات الكمال فيصير كلام من
وصف الله بصفات الكمال وصفات النقص واحدا ويبقى رد النفاة
على الطائفتين بطريق واحد وهذا غاية الفساد الثالث ان هؤلا ينفون
صفات الكمال بمثل هذه الطريق واتصافه بصفات الكمال واجب ثابت
بالعقل والسمع فيكون ذلك دليلا على فساد هذه الطريقة الرابع ان سالكي هذه
الطريقة متناقضون فكل من اثبت شيئا منهم الزمه الآخر بما يوافقه
فيه من الاثبات كما ان كل من نفى شيئا منهم الزمه الآخر بما يوافقه فيه
من النفي فمثبتة الصفات كالحياة والعلم والقدرة والكلام والسمع
والبصر اذا قالت لهم النفاة هذا تجسيم لان هذه الصفات
اعراض والعرض لا يقوم الا بالجسم او لانا لا نعرف موصوفا بالصفات الا
جسما قالت لهم المثبتة وانتم لا تعلمون موجودا حيا عالما قادرا الا جسما
فقد اثبتموه على خلاف ما علمتم فكذلك نحن وقالوا لهم انتم اثبتم حيا
عالما قادرا بلا حياة ولا علم ولا قدرة وهذا تناقض يعلم بضرورة العقل

ثم هؤلا المثبتة اذا قالوا لمن اثبت انه يرضى ويغضب ويحب ويبغض او من
وصفه بالاستوا والنزول والاتيان والمجي او بالوجه واليد ونحو ذلك اذا
قالوا هذا يقتضي التجسيم لانا لا نعرف ما يوصف بذلك الا ما هو جسم قالت
لهم المثبتة فانتم قد وصفتموه بالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام
وهذا هكذا فان كان هذا لا يوصف به الا الجسم فالآخر كذلك
وان امكن ان يوصف باحدهما ما ليس بجسم فالآخر كذلك فالتفريق بينهما تفريق
بين المتماثلين ولهذا لما كان الرد على من وصف الله تعالى بالنقايص بهذه الطريق
طريقا فاسدا لم يسلكه احد من السلف والائمة فلم ينطق احد منهم في
حق الله بالجسم لا نفيا ولا اثباتا ولا بالجوهر والتحيز ونحو ذلك لانها عبارات
مجملة لا تحق حقا ولا تبطل باطلا ولهذا لم يذكر الله في كتابه فيما انكره على
اليهود وغيرهم من الكفار ما هو من هذا النوع بل هذا هو من الكلام
المبتدع الذي انكره السلف والائمة فصل واما في طرق الاثبات فمعلوم
ايضا ان المثبت لا يكفي في اثباته مجرد نفي التشبيه اذ لو كفى في اثباته
مجرد نفي التشبيه لجاز ان يوصف سبحانه وتعالى من الاعضا والافعال
بما لا يكاد يحصى مما هو ممتنع عليه مع نفي التشبيه عنه وان يوصف بالنقايص

إلى الله تعالى عليه مع نفي التشبيه كما لو وصفه مفتر عليه بالبكاء والحزن
والجوع والعطش مع نفي التشبيه وكما لو قال المفتري يأكل لا كأكل العباد
ويشرب لا كشربهم ويبكي ويحزن لا كبكائهم ولا كحزنهم كما يقال
يضحك لا كضحكهم ويفرح لا كفرحهم ويتكلم لا ككلامهم ولجاز أن
يقال له أعضاء كثيرة لا كأعضائهم كما قيل له وجه لا كوجوههم ويدان
لا كأيديهم حتى يذكر المعدة والأمعاء والذكر وغير ذلك مما يتعالى
الله عز وجل عنه سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا فإنه يقال
لمن نفى مع إثبات الصفات الخبرية وغيرها من الصفات ما الفرق بين
هذا وبين ما أثبته إذا نفيت التشبيه وجعلت مجرد نفي التشبيه كافيا
في الإثبات فلا بد من إثبات فرق في نفس الأمر فإن قال العمدة في الفرق
هو السمع قيل له أولا السمع هو خبر الصادق عما هو الأمر عليه في نفسه
فما أخبر به الصادق فهو حق من نفي أو إثبات والخبر دليل على المخبر عنه
والدليل لا ينعكس فلا يلزم من عدمه عدم المدلول عليه فما لم يرد به السمع يجوز أن
يكون ثابتا في نفس الأمر وإن لم يرد به السمع إذا لم يكن نفاه ومعلوم أن
السمع لم ينف هذه الأمور بأسمائها الخاصة فلا بد من ذكر ما ينفيها من السمع وإلا

فلا

فلا يجوز حينئذ نفيها كما لا يجوز إثباتها وأيضا فلا بد في نفس الأمر من فرق
بين ما يثبت له وينفى عنه فإن الأمور المتماثلة في الجواز والوجوب والامتناع
يمتنع اختصاص بعضها دون بعض بالجواز والوجوب والامتناع فلا بد من
اختصاص المنفي عن المثبت بما يخصه بالنفي ولا بد من اختصاص الثابت عن
المنفي بما يخصه من الثبوت وقد يعبر عن ذلك بأن يقال لا بد من أمر يوجب
نفي ما يجب نفيه عن الله كما أنه لا بد من أمر يثبت له ما هو ثابت وإن كان
السمع كافيا كان مخبرا عما هو الأمر عليه في نفسه فما الفرق في نفس الأمر
بين هذا وهذا فيقال لكل ما نفى صفات الكمال الثابتة لله فهو منزه عنه
فإن ثبوت أحد الضدين يستلزم نفي الآخر فإذا علم أنه موجود واجب
الوجود بنفسه وأنه قديم واجب القدم علم امتناع العدم والحدوث عليه
وعلم أنه غني عما سواه فالمفتقر إلى ما سواه في بعض ما يحتاج إليه لنفسه ليس موجودا به
بنفسه وبذلك الآخر الذي أعطاه ما تحتاج إليه نفسه فلا يوجد إلا به وهو سبحانه
غني عن كل ما سواه فكل موجود ليس موجودا بنفسه بل بنفسه وبذلك
الآخر الذي أعطاه ما تحتاج إليه نفسه وهو سبحانه قدير قوي فكل ما نافى قدرته
وقوته فهو منزه عنه وهو سبحانه حي قيوم فكل ما نافى حياته وقيوميته

فهو منزه عنه وبالجملة فالسمع قد اثبت له من الاسما الحسنى وصفات الكمال
ما قد ورد فكل ما ضاد ذلك فالسمع ينفيه كما ينفي عنه المثل والكفو
فان اثبات الشي نفي لضده ولما يستلزم ضده والعقل يعرف نفي ذلك كما يعرف
اثبات ضده فاثبات احد الضدين نفي للاخر ولما يستلزمه فطرق العلم
بنفي ما ينزه عنه متسعة لا يحتاج فيها الى الاقتصار على مجرد نفي التشبيه
والتجسيم كما فعله اهل القصور والتقصير الذين تناقضوا في ذلك وفرقوا بين
المتماثلين حتى ان كل من اثبت شيا احتج عليه من نفاه بانه يستلزم التشبيه
وكذلك احتج القرامطة على نفي جميع الامور حتى نفوا النفي فقالوا لا
يقال موجود ولا ليس بموجود ولا حي ولا ليس بحي لان ذلك تشبيه بالموجود
او المعدوم فلزم نفي النقيضين وهو اظهر الاشيا امتناعا ثم ان هولا
يلزمهم من تشبيهه بالمعدومات والممتنعات والجمادات اعظم مما فروا منه من
التشبيه بالاحيا الكاملين فطرق تنزيهه وتقديسه عما هو منزه عنه متسعة
لا يحتاج الى هذا وقد تقدم ان ما ينفى عنه سبحانه نفي متضمن للاثبات اذ مجرد
النفي لا مدح فيه ولا كمال فان المعدوم يوصف بالنفي والمعدوم لا يشبه الموجود
وليس هذا مدحا له بل مشابهة الناقص في صفات النقص نقص مطلق

كما ان مماثلة المخلوق في شي من الصفات تمثيل وتشبيه ينزه عنه الرب تبارك
وتعالى والنقص ضد الكمال وذلك مثل انه قد علم انه حي والموت ضد ذلك
فهو منزه عنه وكذلك النوم والسنة ضد كمال الحياة فان النوم اخو الموت
وكذلك اللغوب نقص في القدرة والقوة والاكل والشرب ونحو ذلك
من الامور فيه افتقار الى موجود غيره كما ان الاستعانة بالغير والاعتضاد
به ونحو ذلك يتضمن الافتقار اليه والاحتياج اليه وكل من يحتاج الى من
يحمله او يعينه على قيام ذاته وافعاله فهو مفتقر اليه ليس مستغنيا بنفسه
فكيف من ياكل ويشرب والاكل الشارب اجوف والمصمت الصمد
اكمل من الاكل والشارب ولهذا كانت الملائكة صمدا لا ياكلون ولا يشربون
وقد تقدم ان كل كمال ثبت للمخلوق فالخالق اولى به وكل نقص تنزه عنه
المخلوق فالخالق اولى بتنزيهه عن ذلك والسمع قد نفى ذلك في غير موضع
كقوله الصمد والصمد الذي لا جوف له ولا ياكل ولا يشرب وهذه السورة
هي نسب الرحمن وهي الاصل في هذا الباب وقال في المسيح وامه ما المسيح
ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان
الطعام فجعل ذلك دليلا على نفي الالوهية فدل ذلك على تنزيهه عن ذلك

بطون الاولى والاخرى والكبد والطحال ونحو ذلك هي اعضا الاكل والشرب
فالغني المنزه عن ذلك منزه عن الات ذلك بخلاف اليد فانها للعمل والفعل
وهو سبحانه موصوف بالعمل والفعل اذ ذلك من صفات الكمال فمن يقدر
ان يفعل اكمل ممن لا يقدر على الفعل وهو سبحانه منزه عن الصاحبة والولد
وعن الات ذلك واسبابه وكذلك البكا والحزن هو مستلزم للضعف والعجز
الذي نزه الله عنه بخلاف الغضب والفرح فانه من صفات الكمال فكما يوصف
بالقدرة دون العجز وبالعلم دون الجهل وبالحياة دون الموت وبالسمع دون
الصمم وبالبصر دون العمى وبالكلام دون البكم فكذلك يوصف بالفرح
دون الحزن وبالضحك دون البكا ونحو ذلك وايضا فقد ثبت بالعقل
ما اثبته السمع من انه سبحانه لا كفو له ولا سمي له وليس كمثله شي
فلا يجوز ان تكون حقيقته كحقيقة شي من المخلوقات ولا حقيقة شي من
صفاته كحقيقة شي من صفات المخلوقين فيعلم قطعا انه ليس من جنس
المخلوقات لا الملايكة ولا السموات ولا الكواكب ولا الهوا ولا الما ولا
الارض ولا الادميين لا ابدانهم ولا انفسهم ولا غير ذلك بل يعلم ان حقيقته
عن مماثلة شي من الموجودات ابعد من سائر الحقايق وان مماثلته لشي منها ابعد

من

من مماثلة حقيقة شي من المخلوقات لحقيقة مخلوق اخر فان الحقيقتين اذا
تماثلتا جاز على كل واحدة ما يجوز على الاخرى ووجب لها ما وجب لها
فيلزم ان يجوز على الخالق القديم الواجب بنفسه ما يجوز على المحدث المخلوق
من العدم والحاجة وان يثبت لهذا ما يثبت لذاك من الوجوب والغنى فيكون
الشي الواحد واجبا بنفسه غير واجب بنفسه موجودا معدوما وذلك
جمع بين النقيضين وهذا مما يعلم به بطلان قول المشبهة الذين يقولون
بصر كبصري ويد كيدي ونحو ذلك تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا
وليس المقصود هنا استيفا ما يثبت له وما ينزه عنه واستيفا طرق ذلك
لان هذا مبسوط في غير هذا الموضع وانما المقصود هنا التنبيه على جوامع
ذلك وطرقه وما سكت عنه السمع نفيا واثباتا ولم يكن في العقل ما يثبته
ولا ينفيه سكتنا عنه فلا نثبته ولا ننفيه فنثبت ما علمنا ثبوته
وننفي ما علمنا نفيه ونسكت عما لا نعلم نفيه ولا اثباته والله اعلم **فصل**
واما الاصل الثاني وهو التوحيد في العبادات المتضمن للايمان بالشرع
والقدر جميعا فنقول انه لا بد من الايمان بخلق الله وامره فيجب الايمان
بان الله خالق كل شي وربه ومليكه وانه على كل شي قدير وانه ما شا كان وما لم

يشا لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله وقد علم ما سيكون قبل أن يكون وقدر المقادير
وكتبها حيث شاء كما قال تعالى ألم تعلم أن الله يعلم ما في السموات والارض إن
ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
قال إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة
وكان عرشه على الماء ويجب الايمان بأن الله أمر بعبادته وحده لا شريك له
كما خلق الإنس والجن لعبادته وبذلك أرسل رسله وأنزل كتبه وعبادته تتضمن
كمال الذل له والحب له وذلك يتضمن كمال طاعته ومن يطع الرسول فقد أطاع
الله وقد قال تعالى وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله وقال تعالى
قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقد قال تعالى واسأل من أرسلنا
من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال تعالى
وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون وقال
تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبرهيم
وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم
إليه وقال تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون
عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون فأمر الرسل بإقامة الدين وأن

لا يتفرقوا فيه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح
إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد الأنبياء إخوة لعلات وإن أولى الناس بابن
مريم لأنا إنه ليس بيني وبينه نبي وهذا الدين هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله
دينا غيره لا من الأولين ولا من الآخرين فإن جميع الأنبياء على دين الإسلام
قال تعالى عن نوح واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان
كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله إلى قوله تعالى فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم
وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون فإن
توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين وقال
عن إبرهيم ومن يرغب عن ملة إبرهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا
وإنه في الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى
بها إبرهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم
مسلمون وقال عن موسى وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا
إن كنتم مسلمين وقال عن قوم عيسى وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا
بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون وقال فيمن تقدم من الأنبياء يحكم بها
النبيون الذين أسلموا وقال عن بلقيس أنها قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان

هو رب العالمين فالاسلام يتضمن الاستسلام لله وحده فمن استسلم له ولغيره
كان مشركا ومن لم يستسلم له كان مستكبرا عن عبادته والمشرك به والمستكبر
عن عبادته كافر والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده
فهذا دين الاسلام الذي لا يقبل الله غيره وذلك انما يكون بان يطاع في كل وقت بفعل
ما امر به في ذلك الوقت فاذا امر في اول الامر باستقبال الصخرة ثم امرنا ثانيا
باستقبال الكعبة كان كل من الفعلين حين امر به داخلا في دين الاسلام فالدين
هو الطاعة والعبادة له في الفعلين وانما تنوع بعض صور الفعل وهو وجهة المصلي
فكذلك الرسل دينهم واحد وان تنوعت الشرعة والمنهاج والوجهة والمنسك
فان ذلك لا يمنع ان يكون الدين واحدا كما لم يمنع ذلك في شريعة الرسول الواحد
والله تعالى جعل من دين الرسل ان اولهم يبشر باخرهم ويؤمن به واخرهم يصدق
باولهم ويؤمن به قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب
وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ااقررتم
واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين
قال ابن عباس لم يبعث الله نبيا الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو
حي ليؤمنن به ولينصرنه وقال تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما

بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك
من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وجعل الايمان بهم متلازما وكفر من قال
انه امن ببعض وكفر ببعض قال الله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون
ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا
بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا وقال تعالى افتؤمنون ببعض
الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا
ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون وقد
قال لنا قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق
بين احد منهم ونحن له مسلمون فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا وان
تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم فامرنا ان
نقول امنا بهذا كله ونحن له مسلمون فمن بلغته رسالة محمد صلى الله عليه
وسلم فلم يقر بما جاء به لم يكن مسلما ولا مؤمنا بل يكون كافرا وان زعم
انه مسلم او مؤمن كما ذكروا انه لما انزل الله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن
يقبل منه قالت اليهود والنصارى فنحن مسلمون فانزل الله تعالى ولله على الناس

حج البيت من استطاع اليه سبيلا فقالوا لا نحج فقال ومن كفر فان الله
غني عن العالمين فان الاستسلام له لا يتم الا بالاقرار بما له على عباده من حج
البيت كما قال صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وصوم رمضان وحج البيت ولهذا
لما وقف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة انزل الله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم
واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وقد تنازع الناس فيمن تقدم
من امة موسى وعيسى هل هم مسلمون او لا وهو نزاع لفظي فان الاسلام الخاص
الذي بعث الله به محمدا المتضمن لشريعة القران ليس عليه الا امة محمد صلى الله
عليه وسلم والاسلام اليوم عند الاطلاق لا يتناول هذا واما الاسلام
العام المتناول لكل شريعة بعث الله بها نبيا فانه يتناول اسلام كل امة
متبعة لنبي من الانبيا وراس الاسلام مطلقا شهادة ان لا اله الا الله وبها
بعث الله جميع الرسل كما قال تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان
اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقال عن الخليل اذ قال لابيه وقومه
انني برا مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه

لعلهم

لعلهم يرجعون وقال تعالى عنه افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباوكم الاقدمون
فانهم عدو لي الا رب العالمين وقال قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم
والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برءا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا
بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضا ابدا حتى تومنوا بالله وحده
وقال واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون
وذكر عن رسله كنوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم انهم قالوا لقومهم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره وقال عن اهل الكهف انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم
هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن
ندعوا من دونه الها لقد قلنا اذا شططا هولا قومنا اتخذوا من دونه
الهة لولا ياتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
وقد قال سبحانه وتعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشا ذكر ذلك في موضعين من كتابه وقد بين في كتابه الشرك
بالملايكة والشرك بالانبيا والشرك بالكواكب والشرك بالاصنام فقال
عن النصارى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما
امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه وتعالى عما يشركون وقال تعالى

وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله
قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم
ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما
أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وقال تعالى ما كان لبشر أن يؤتيه
الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله
ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم
أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون فبين
أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كفر ومعلوم أن أحدا من الخلق لم يزعم
أن الأنبياء أو الأحبار أو الرهبان أو المسيح شاركوا الله في خلق السموات والأرض
بل ولا زعم أحد من الناس أن العالم له صانعان متكافئان في الصفات والأفعال
بل ولا أثبت أحد من بني آدم إلها مساويا لله في جميع صفاته بل عامة المشركين
بالله مقرون بأنه ليس شريكه مثله بل عامتهم مقرون أن الشريك مملوك له
سواء كان نبيا أو ملكا أو كوكبا أو صنما كما كانت مشركو العرب يقولون
في تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك فأهل رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالتوحيد وقال لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد

والنعمة

والنعمة لك والملك لا شريك لك وقد ذكر أرباب المقالات ما جمعوا
من مقالات الأولين والآخرين في الملل والنحل والآراء والديانات فلم ينقلوا
عن أحد إثبات شريك مشارك له في خلق جميع المخلوقات ولا مماثل له في
جميع الصفات بل من أعظم ما نقلوا في ذلك قول الثنوية الذين يقولون بالأصلين
النور والظلمة وأن النور خلق الخير والظلمة خلقت الشر ثم ذكروا لهم في
الظلمة قولين أحدهما أنها محدثة فتكون من جملة المخلوقات له والثاني أنها قديمة
لكنها لم تفعل إلا الشر فكانت ناقصة في ذاتها وصفاتها ومفعولاتها
عن النور وقد أخبر سبحانه عن المشركين من إقرارهم بأن الله خالق المخلوقات
ما بينه في كتابه فقال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن
الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات
ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل
المتوكلون وقال تعالى قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون
سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم
سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا
يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون إلى قوله ما

ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق
ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون وتعالى وما يؤمن اكثرهم بالله
الا وهم مشركون وبهذا وغيره يعرف ما وقع من الغلط في مسمى التوحيد فان
عامة المتكلمين الذين يقررون التوحيد في كتب الكلام والنظر غايتهم ان
يجعلوا التوحيد ثلثة انواع فيقولون هو واحد في ذاته لا قسيم له وواحد
في صفاته لا شبيه له وواحد في افعاله لا شريك له واشهر الانواع الثلثة
عندهم هو الثالث وهو توحيد الافعال وهو ان خالق العالم واحد
وهم يحتجون على ذلك بما يذكرونه من دلالة التمانع وغيرها ويظنون
ان هذا هو التوحيد المطلوب وان هذا هو معنى قولنا لا اله الا الله حتى قد يجعلون
معنى الالهية القدرة على الاختراع ومعلوم ان المشركين من العرب
الذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم اولا لم يكونوا يخالفونه في هذا
بل كانوا يقرون ان الله خالق كل شيء حتى انهم كانوا يقرون بالقدر
ايضا وهم مع هذا مشركون وقد تبين ان ليس في العالم من ينازع في
اصل هذا الشرك ولكن غاية ما يقال ان من الناس من جعل بعض الموجودات
خلقا لغير الله كالقدرية وغيرهم لكن هؤلاء مقرون ان الله خالق العباد

وخالق قدرتهم وان قالوا انهم خلقوا افعالهم وكذلك اهل الفلسفة والطبع
والنجوم الذين يجعلون بعض المخلوقات مبدعة لبعض الامور مع الاقرار بالصانع
يجعلون هذه الفاعلات مصنوعة مخلوقة لا يقولون انها غنية عن الخالق
مشاركة له في الخلق واما من انكر الصانع فذاك جاحد معطل للصانع كالقول
الذي اظهره فرعون والكلام الآن مع المشركين بالله المقرين بوجوده فان
هذا التوحيد الذي قرروه لا ينازعهم فيه هؤلاء المشركون بل يقرون به مع انهم مشركون
كما ثبت في الكتاب والسنة والاجماع وكما علم بالاضطرار من دين الاسلام
وكذلك النوع الثاني وهو قولهم لا شبيه له في صفاته فانه ليس في الامم
من اثبت قديما مماثلا له في ذاته سواء قال انه مشاركه او قال انه لا فعل
له بل من شبه به شيئا من مخلوقاته فانما يشبهه به في بعض الامور وقد علم
بالعقل امتناع ان يكون له مثل في المخلوقات يشاركه فيما يجب او يجوز او يمتنع
عليه فان ذلك يستلزم الجمع بين النقيضين كما تقدم وعلم ايضا بالعقل
ان كل موجودين قائمين بانفسهما فلا بد بينهما من قدر مشترك كاتفاقهما في مسمى
الوجود والقيام بالنفس والذات ونحو ذلك وان نفي ذلك يقتضي التعطيل
المحض وانه لا بد من اثبات خصائص الربوبية وقد تقدم الكلام على ذلك ثم ان

الجهمية من المعتزلة وغيرهم ادرجوا نفي الصفات في مسمى ذلك فصار من قال
ان لله علما او قدرة او انه يرى او ان القران كلام الله غير مخلوق يقولون انه
مشبه ليس بموحد وزاد عليهم غلاة الفلاسفة والقرامطة فنفوا اسماه
الحسنى وقالوا من قال ان الله عليم قدير عزيز حكيم فهو مشبه ليس بموحد
وزاد غلاة الغلاة بان قالوا لا يوصف بالنفي ولا الاثبات لان في كل منهما
تشبيها له وهولا كلهم وقعوا من جنس التشبيه فيما هو شر مما فروا منه
فانهم شبهوه بالممتنعات والمعدومات والجمادات وفروا من تشبيههم
بزعمهم له بالاحيا ومعلوم ان هذه الصفات الثابتة لله لا تثبت له على حد
ما يثبت للمخلوق اصلا وهو سبحانه ليس كمثله شي لا في ذاته ولا في صفاته
ولا في افعاله ولا فرق بين اثبات الذات واثبات الصفات فاذا لم يكن في
اثبات الذات اثبات مماثلة للذوات لم يكن في اثبات الصفات اثبات
مماثلة له في ذلك فصار هولا الجهمية المعطلة يجعلون هذا توحيدا
ويجعلون مقابلة التشبيه ويسمون نفوسهم الموحدين وكذلك النوع
الثالث وهو قولهم هو واحد لا قسيم له في ذاته او لا بعض له ولا جزء له لفظ
مجمل فان الله سبحانه احد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فيمتنع عليه

ان يتفرق او يتجزى او يكون قد ركب من اجزا لكنهم يدرجون في هذا اللفظ
نفي علوه على عرشه ومباينته لخلقه وامتيازه عنهم ونحو ذلك من المعاني المستلزمة
لنفيه وتعطيله ويجعلون ذلك من التوحيد فقد تبين ان ما يسمونه توحيدا
ما هو حق وفيه ما هو باطل ولو كان جميعه حقا فان المشركين اذا اقروا بذلك
لم يخرجوا من الشرك الذي وصفهم به في القران وقاتلهم عليه الرسول صلى الله عليه وسلم
بل لا بد ان يعترفوا انه لا اله الا الله وليس المراد بالاله هو القادر على الاختراع كما ظنه من
ظنه من ائمة المتكلمين حيث ظن ان الالهية هي القدرة على الاختراع وان
من اقر بان الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد ان لا اله الا
هو فان المشركين كانوا يقرون بهذا وهم مشركون كما تقدم بيانه بل الاله الحق
الذي يستحق ان يعبد فهو اله بمعنى مالوه لا اله بمعنى اله والتوحيد ان يعبد
الله وحده لا شريك له والاشراك ان يجعل مع الله الها اخر واذا تبين ان
غاية ما يقرره هولا النظار اهل الاثبات للقدر المنتسبون الى السنة
انما هو توحيد الربوبية وان الله رب كل شي ومع هذا فالمشركون كانوا مقرين
بذلك مع انهم مشركون وكذلك طوايف من اهل التصوف والمنتسبين الى المعرفة
والتحقيق والتوحيد غاية ما عندهم من التوحيد هو شهود هذا التوحيد وان

يشهد ان الله رب كل شي ومليكه وخالقه لا سيما اذا غاب العارف بموجوده
عن وجوده وبمشهوده عن شهوده وبمعروفه عن معرفته ودخل في فنا توحيد الربوبية
بحيث يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل فهذا عندهم هو الغاية التي لا غاية وراها
ومعلوم ان هذا هو تحقيق ما اقر به المشركون من التوحيد ولا يصير الرجل بمجرد
هذا التوحيد مسلما فضلا عن ان يكون وليا لله او من سادات الاوليا وطايفة
من اهل التصوف والمعرفة يقررون هذا التوحيد مع اثبات الصفات فيفنون
في توحيد الربوبية مع اثبات الخالق للعالم المباين لمخلوقاته واخرون يضمون
هذا الى نفي الصفات فيدخلون في التعطيل مع هذا وهذا اشر من حال كثير
من المشركين وكان جهم ينفي الصفات ويقول بالجبر فهذا تحقيق قول جهم
لكنه اذا اثبت الامر والنهي والثواب والعقاب فارق المشركين من هذا
الوجه لكن جهما ومن اتبعه يقول بالارجا فيضعف الامر والنهي والثواب
والعقاب عنده والنجارية والضرارية وغيرهم يقربون من جهم في مسايل
القدر والايمان مع مقاربتهم له ايضا في نفي الصفات والكلابية والاشعرية
خير من هولا في باب الصفات فانهم يثبتون لله الصفات العقلية وايمتهم يثبتون
الصفات الخبرية ايضا كما قد فصلت اقوالهم في غير هذا الموضع واما في باب القدر

ومسايل

ومسايل الاسما والاحكام فاقوالهم متقاربة والكلابية اتباع ابي محمد عبد الله
ابن سعيد بن كلاب الذي سلك الاشعري خطته واصحاب ابن كلاب
كالحرث المحاسبي وابي العباس القلانسي ونحوهما خير من الاشعرية في هذا وهذا
فكلما كان الرجل الى السلف والايمة اقرب كان قوله اعلى وافضل
والكرامية قولهم في الايمان قول منكر لم يسبقهم اليه احد حيث جعلوا الايمان
قول اللسان وان كان مع عدم تصديق القلب فيجعلون المنافق مومنا
لكنه يخلد في النار فخالفوا الجماعة في الاسم دون الحكم واما في الصفات
والقدر والوعيد فهم اشبه من اكثر طوايف الكلام التي في اقوالها مخالفة
للسنة واما المعتزلة فهم ينفون الصفات ويقاربون قول جهم لكنهم ينفون
القدر فهم وان عظموا الامر والنهي والوعد والوعيد وغلوا فيه فهم يكذبون
بالقدر ففيهم نوع من الشرك من هذا الباب والاقرار بالامر والنهي والوعد
والوعيد مع انكار القدر خير من الاقرار بالقدر مع انكار الامر والنهي
والوعد والوعيد ولهذا لم يكن في زمن الصحابة والتابعين من ينفي الامر والنهي
والوعد والوعيد وكان قد نبغ فيهم القدرية كما نبغ فيهم الخوارج الحرورية
وانما يظهر من البدع اولا ما كان اخف وكلما ضعف من يقوم بنور النبوة

وبيت البدعة فهؤلاء المتصوفون الذين يشهدون الحقيقة الكونية مع اعراضهم
عن الامر والنهي شر من القدرية المعتزلة ونحوهم اولئك يشبهون المجوس
وهؤلاء يشبهون المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا
ولا حرمنا من شيء والمشركون شر من المجوس فهذا اصل عظيم على المسلم ان
يعرفه فانه اصل الاسلام الذي يتميز به اهل الايمان من اهل الكفر وهو
الايمان بالوحدانية والرسالة شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله وقد وقع كثير من الناس في الاخلال بحقيقة هذين الاصلين او
احدهما مع ظنه انه في غاية التحقيق والتوحيد والعلم والمعرفة فاقرار المرء
بان الله رب كل شيء ومليكه وخالقه لا ينجيه من عذاب الله ان لم يقترن
به اقراره بان لا اله الا الله فلا يستحق العبادة احد الا هو وان محمدا رسول
الله فيجب تصديقه فيما اخبر وطاعته فيما امر فلا بد من الكلام في هذين
الاصلين

الفصل الاول توحيد الالهية

فانه سبحانه
اخبر عن المشركين كما تقدم بانهم اثبتوا وسائط بينهم وبين الله يدعونهم
ويتخذونهم شفعاء بدون اذن الله تعالى ويعبدون من دون الله ما
لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله
بما

بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون فاخبر ان
هؤلاء الذين اتخذوهم شفعاء مشركون وقال تعالى عن مؤمن يس وما لي لا
اعبد الذي فطرني واليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر
لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال مبين اني آمنت
بربكم فاسمعون وقال تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم
ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء
لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون فاخبر عن شفعائهم انهم زعموا
انهم فيهم شركاء وقال تعالى ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا
لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض
ثم اليه ترجعون وقال تعالى ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع وقال
تعالى وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع
وقد قال تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال تعالى وقالوا
اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون
وقال تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن

لله من يشاء ويرضى وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون

مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير

ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال

ربكم قالوا الحق وقد قال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف

الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون

رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا قال طائفة من السلف

كان اقوام يدعون العزير والمسيح والملائكة فانزل الله هذه الاية بين فيها

ان الملائكة والانبياء يتقربون الى الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه ومن تحقيق

التوحيد ان يعلم ان الله اثبت له حقا لا يشركه فيها مخلوق كالعبادة والتوكل

والخوف والتقوى قال تعالى فلا تدع مع الله الها اخر فتقعد مذموما مخذولا

وقال تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين الا

لله الدين الخالص وقال تعالى قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقال

تعالى قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون ولقد اوحي اليك والى الذين

من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن

من الشاكرين وكل من الرسل يقول اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وقد قال في

التوكل

التوكل وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وعلى الله فليتوكل المتوكلون قل حسبي

الله عليه يتوكل المتوكلون وقال تعالى ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا

حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون فقال في الايتاء ما اتاهم

الله ورسوله وقال في التوكل وقالوا حسبنا الله ولم يقل ورسوله لان الايتاء هو الاعطاء

الشرعي وذلك يتضمن الاباحة والاحلال الذي بلغه الرسول فان الحلال

ما احله والحرام ما حرمه والدين ما شرعه قال تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس

قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فهو وحده

حسبهم كلهم وقال تعالى يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين اي حسبك

وحسب من اتبعك من المؤمنين هو الله فهو كافيكم كلكم وليس المراد ان الله

والمؤمنين حسبك كما يظنه بعض الغالطين اذ هو وحده كاف نبيه وهو حسبه

ليس معه من يكون هو واياه حسبا للرسول وهذا في اللغة كقول الشاعر

فحسبك والضحاك سيف مهند

وتقول العرب حسبك وزيدا درهم اي يكفيك وزيدا جميعا درهم وقال في الخوف

والخشية والتقوى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون فاثبت

الطاعة لله والرسول واثبت الخشية والتقوى لله وحده كما قال نوح عليه السلام اني لكم

تعالى ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ... لحسبك ... كاف

مبين بين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون فجعل العبادة والتقوى لله وجعل
الطاعة له فانه من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال تعالى فلا تخشوا
الناس واخشون ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا وقال تعالى فلا تخافوهم وخافون
ان كنتم مومنين وقال الخليل عليه السلام وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون
انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم
تعلمون وقال تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم
مهتدون وفي الصحيحين عن ابن مسعود انه قال لما نزلت هذه الاية شق
ذلك على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا واينا لم يظلم نفسه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم انما هو الشرك الم تسمعوا الى قول العبد الصالح ان الشرك
لظلم عظيم وقال تعالى فاياي فارهبون واياي فاتقون ومن هذا الباب ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته من يطع الله ورسوله فقد
رشد ومن يعصهما فانه لا يضر الا نفسه ولن يضر الله شيئا وقال لا تقولوا ما شا
الله وشا محمد ولكن قولوا ما شا الله ثم شا محمد ففي الطاعة قرن اسم الرسول
باسمه بحرف الواو وفي المشية امر ان يجعل ذلك بحرف ثم وذلك لان طاعة
الرسول طاعة لله فمن يطع الرسول فقد اطاع الله وطاعة الله طاعة الرسول

بخلاف المشية فليست مشية احد من العباد مشية لله ولا مشية الله مستلزمة
لمشية العباد بل ما شا الله كان وان لم يشا الناس وما شاء الناس لم يكن ان لم
يشا الله **والفصل الثاني** حق الرسول صلى الله عليه وسلم فعلينا ان نومن به
ونطيعه ونتبعه ونرضيه ونحبه ونسلم لحكمه وامثال ذلك قال تعالى
من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وقال
تعالى قل ان كان اباوكم وابناوكم واخوانكم وازواجكم
وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن
ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي
الله بامره وقال تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا
في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله وامثال ذلك **فصل** اذا ثبت هذا فمن المعلوم انه
يجب الايمان بخلق الله وامره بقضايه وشرعه واهل الضلال الخايضون في
القدر انقسموا الى ثلث فرق مجوسيه ومشركيه وابليسيه فالمجوسيه
الذين كذبوا بقدر الله وان امنوا بامره ونهيه فغلاتهم انكروا العلم والكتاب
ومقتصدتهم انكروا عموم مشيته وخلقه وقدرته وهولا هم المعتزله ومن وافقهم

والفرقة الثانية المشركية الذين أقروا بالقضاء والقدر وأنكروا الأمر والنهي
قال تعالى وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا
حرمنا من شيء فمن احتج على تعطيل الأمر والنهي بالقدر فهو من هؤلاء وهذا قد
كثر فيمن احتج على تعطيل الأمر والنهي بالقدر يدعي الحقيقة من المتصوفة والفرقة
الثالثة الإبليسية وهم الذين أقروا بالأمرين لكن جعلوا هذا تناقضا من الرب
وطعنوا في حكمته وعدله كما يذكر مثل ذلك عن إبليس مقدمهم كما نقله أهل
المقالات ونقل عن أهل الكتاب والمقصود أن هذا مما يقوله أهل الضلال
وأما أهل الهدى والفلاح فيؤمنون بهذا وهذا ويؤمنون بأن الله خالق كل شيء
وربه ومليكه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وهو على كل شيء قدير أحاط بكل
شيء علما وكل شيء أحصاه في إمام مبين ويتضمن هذا الأصل من إثبات علم الله وقدرته
ومشيئته ووحدانيته وربوبيته وأنه خالق كل شيء وربه ومليكه ما هو من
أصول الإيمان ومع هذا فلا ينكرون ما خلقه الله من الأسباب التي يخلق بها المسببات
كما قال تعالى حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء
فأخرجنا به من كل الثمرات وقال يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام
وقال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فأخبر أنه يفعل بالأسباب ومن قال

يفعل

يفعل عندها لا بها فقد خالف ما جاء به القرآن وأنكر ما خلقه الله من القوى
والطبائع وهو شبيه بإنكار ما خلقه الله من القوى التي في الحيوان التي يفعل
الحيوان بها مثل قدرة العبد كما أن من جعلها هي المبدعة فقد أشرك بالله وأضاف
فعله إلى غيره وذلك أنه ما من سبب من الأسباب إلا وهو مفتقر إلى سبب
آخر في حصول مسببه ولا بد له من مانع يمنع مقتضاه إذا لم يدفعه الله عنه
فليس في الوجود شيء واحد يفعل شيئا إلا الله وحده قال الله تعالى ومن كل
شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون أي تعلمون أن خالق الأزواج واحد
ولهذا من قال إن الله لا يصدر عنه إلا واحد لأن الواحد لا يصدر عنه إلا
واحد كان جاهلا فإنه ليس في الوجود واحد صدر عنه وحده شيء لا واحد
ولا اثنان إلا الله الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم
ومما لا يعلمون فالنار التي جعل الله فيها حرارة لا يحصل الإحراق إلا بها وبمحل يقبل
الاحتراق فإذا وقعت على السمندل والياقوت ونحوهما لم تحرقهما وقد يطلى الجسم
بما يمنع إحراقه والشمس التي يكون عنها الشعاع لا بد من جسم يقبل انعكاس الشعاع
عليه وإذا حصل حاجز من سحاب أو سقف لم يحصل الشعاع تحته وقد بسط
هذا في غير هذا الموضع والمقصود هنا أنه لا بد من الإيمان بالقدر فإن الإيمان بالقدر

من تمام التوحيد كما قال ابن عباس هو نظام التوحيد فمن وحد الله وآمن بالقدر
تم توحيده ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده ولا بد من الايمان
بالشرع وهو الايمان بالامر والنهي والوعد والوعيد كما بعث الله بذلك رسله وانزل
كتبه والانسان مضطر الى الشرع في حياته الدنيا فانه لا بد له من حركة يجلب
بها منفعته وحركة يدفع بها مضرته والشرع هو الذي يميز بين الافعال التي
تنفعه والافعال التي تضره وهو عدل الله في خلقه ونوره بين عباده ولا يمكن للآدميين
ان يعيشوا بلا شرع يميزون به بين ما يفعلونه وما يتركونه وليس المراد بالشرع
مجرد العدل بين الناس في معاملاتهم بل الانسان المنفرد لا بد له من فعل وترك
فان الانسان همام حارث كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اصدق الاسماء حارث وهمام
وهو معنى قولهم متحرك بالارادة فاذا كان له ارادة فهو متحرك بها ولا بد ان يعرف ما
يريده هل هو نافع له او ضار وهل يصلحه او يفسده وهذا قد يعرف بعضه الناس
بفطرتهم كما يعرفون انتفاعهم بالاكل والشرب وكما يعرفون ما يعرفون من العلوم
الضرورية بفطرتهم وبعضهم يعرفونه بالاستدلال الذي يهتدون به بعقولهم وبعضه
لا يعرفونه الا بتعريف الرسل وبيانهم له وهدايتهم لهم وفي هذا المقام تكلم الناس
في ان الافعال هل يعرف حسنها وقبحها بالعقل ام ليس لها حسن وقبح يعرف بالعقل

كما

كما قد بسط في غير هذا الموضع وبينا ما وقع في هذا الموضع من الاشتباه فانهم
اتفقوا على ان كون الفعل يلائم الفاعل او ينافره يعلم بالعقل وهو ان يكون الفعل
سببا لما يحبه الفاعل ويلتذ به وسببا لما يبغضه ويؤذيه وهذا القدر يعلم
بالعقل تارة وبالشرع اخرى وبهما جميعا اخرى لكن معرفة ذلك على وجه التفصيل
ومعرفة الغاية التي تكون عاقبة الافعال من السعادة والشقاوة في الدار
الآخرة لا يعلم الا بالشرع فما اخبرت به الرسل من تفصيل اسماء الله وصفاته
لا يعلمه الناس بعقولهم وان كانوا يعلمون بعقولهم جمل ذلك وهذا التفصيل الذي
يحصل به الايمان وجاء به الكتاب هو ما دل عليه قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك
روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا
نهدي به من نشاء من عبادنا وقوله تعالى قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وان
اهتديت فبما يوحي الي ربي انه سميع قريب وقوله تعالى قل انما انذركم
بالوحي ولكن طائفة توهمت ان الحسن والقبح خارج عن هذا وانه يعلم بالعقل
وقابلتهم طائفة اخرى ظنت انما جاء به الشرع من الحسن والقبح يخرج عن
هذا فكلا الطائفتين اللتين اثبتت الحسن والقبح العقليين او الشرعيين
واخرجتاه عن هذا القسم غلطت ثم ان كلتا الطائفتين لما كانت تنكر ان يوصف

الفاعل

من تفاصيل اليوم الآخر وامرت به من تفاصيل الشرائع لا يعلمه الناس بعقولهم كما ان ما اخبرت به الرسل

الله بالمحبة والرضى والسخط والفرح ونحو ذلك مما جاءت به النصوص الإلهية
ودلت عليه الشواهد العقلية وتنازعوا بعد اتفاقهم على أن الله لا يفعل ما هو
قبيح هل ذلك ممتنع لذاته وأنه لا يتصور قدرته على ما هو قبيح أو أنه سبحانه منزه عن
ذلك لا يفعله لمجرد القبح العقلي الذي أثبتوه على قولين والقولان في الانحراف
من جنس القولين المتقدمين أولئك لم يفرقوا في خلقه وأمره بين الهدى والضلال والطاعة
والمعصية والأبرار والفجار وأهل الجنة وأهل النار والرحمة والعذاب فلا جعلوه محمودا
على ما فعله من العدل أو تركه من الظلم ولا ما فعله من الإحسان والنعمة وتركه من
التعذيب والنقمة والآخرون نزهوه بناء على القبح العقلي الذي أثبتوه ولا حقيقة له
وسووه بخلقه فيما يحسن ويقبح وشبهوه بعباده فيما يأمر به وينهى عنه فمن نظر
إلى القدر فقط وعظم الفناء في توحيد الربوبية ووقف عند الحقيقة الكونية
لم يميز بين العلم والجهل والصدق والكذب والبر والفجور والعدل والظلم والطاعة
والمعصية والهدى والضلال والرشاد والغي وأولياء الله وأعدائه وأهل الجنة
وأهل النار وهؤلاء مع أنهم مخالفون بالضرورة لكتب الله ودينه وشرائعه
فهم مخالفون أيضا لضرورة الحس والذوق وضرورة العقل والقياس فإن أحدهم
لا بد أن يلتذ بشيء ويتألم بشيء فيميز بين ما يؤكل ويشرب وبين ما لا يؤكل ولا يشرب

ويميز

وبين ما يؤذيه من الحر والبرد وما ليس كذلك وهذا التمييز بين ما ينفعه ويضره
هو الحقيقة الشرعية الدينية ومن ظن أن البشر ينتهي إلى حد يستوي عنده
الأمران دائما فقد افترى وخالف ضرورة الحس ولكن قد يعرض للإنسان بعض
الأوقات عارض كالسكر والإغماء ونحو ذلك مما يشغل عن الإحساس ببعض الأمور
فأما أن يسقط إحساسه بالكلية مع وجود الحياة فيه فهذا ممتنع فإن النائم لم يسقط
إحساس نفسه بل يرى في منامه ما يسره تارة وما يسوؤه أخرى فالأحوال التي
يعبر عنها بالاصطلام والفناء والسكر ونحو ذلك إنما تتضمن عدم الإحساس
ببعض الأشياء دون بعض فهي مع نقص صاحبها لضعف تمييزه لا تنتهي إلى حد
يسقط فيه التمييز مطلقا ومن نفى التمييز في هذا المقام مطلقا وعظم هذا
المقام فقد غلط في الحقيقة الكونية والدينية قدرا وشرعا غلط في خلق
الله وأمره حيث ظن وجود هذا ولا وجود له وحيث ظن أنه ممدوح ولا مدح في
عدم التمييز والعقل والمعرفة وإذا سمعت بعض الشيوخ يقول أريد أن لا أريد
أو أنه لا حظ له وأنه يصير كالميت بين يدي الغاسل ونحو ذلك فهذا إنما
يمدح منه سقوط إرادته التي لم يؤمر بها وعدم حظه الذي لم يؤمر بطلبه وترك
دفع ما لم يؤمر بدفعه ومن أراد بذلك أنه يبطل إرادته بالكلية وأنه لا يحس باللذة

وأنه كالميت في طلب ما لم يؤمر بطلبه صح

والاسم الثالث فهو الفناء هكذا اذا خالف لمعرفة الحق والفعل ومن روح هذا انه يخالف
فرد من الشين والفعل والفسق يراد به ثلث امور احدها هو الفنا الديني الشرعي
الذي جاءت به الرسل وانزلت به الكتب وهو ان يفنى عن ما لم يامر الله به بفعل ما امر الله
فيفنى عن عبادة غيره بعبادته وعن طاعة غيره بطاعته وطاعة رسوله وعن التوكل
على غيره بالتوكل عليه وعن محبة ما سواه بمحبته ومحبة رسوله وعن خوف غيره بخوفه
بحيث لا يتبع العبد هواه بغير هدى من الله وبحيث يكون الله ورسوله احب اليه مما
سواهما كما قال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال
اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد
في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره فهذا كله هو مما امر الله به ورسوله واما الفنا
الثاني وهو الذي يذكره بعض الصوفية وهو ان يفنى عن شهود ما سوى الله فيفنى بمعبوده
عن عبادته وبمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن معرفته بحيث قد يغيب عن شهود نفسه
لما سوى الله فهذا حال ناقص قد يعرض لبعض السالكين وليس هو من لوازم طريق
الله ولهذا لم يعرض مثل هذا للنبي صلى الله عليه وسلم والسابقين الاولين ومن جعل
هذا نهاية السالكين فهو ضال ضلالا مبينا وكذلك من جعله من لوازم طريق
الله فهو مخطئ بل هو من عوارض طريق الله التي تعرض لبعض الناس دون بعض ليس هو من

اللوازم التي تحصل لكل سالك واما الثالث فهو الفنا عن وجود السوى بحيث يرى
ان وجود المخلوق هو عين وجود الخالق وان الوجود واحد بالعين فهذا قول اهل الالحاد
والاتحاد الذين هم من اضل العباد واما مخالفتهم لضرورة العقل والقياس فان الواحد
من هؤلاء لا يمكنه ان يطرد قوله فانه اذا كان مشاهدا للقدر من غير تمييز بين المامور والمحظور
فعومل بموجب ذلك مثل ان يضرب ويجاع حتى يبتلى بعظيم الاوصاب والاوجاع
فان لام من فعل ذلك به وعابه فقد نقض قوله وخرج عن اصل مذهبه وقيل له هذا
الذي فعله مقضي مقدر بخلق الله وقدره ومشيئته وهو متناول لك وله
يعمكما فان كان القدر حجة لك فهو حجة لهذا وان لم يكن حجة لهذا لم يكن حجة لك فقد
تبين بضرورة العقل فساد قول من ينظر الى القدر ويعرض عن الامر والنهي والمؤمن
مامور بان يفعل المامور ويترك المحظور ويصبر على المقدور كما قال تعالى وان تصبروا
وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا وقال تعالى في قصة يوسف انه من يتق ويصبر فان
الله لا يضيع اجر المحسنين فالتقوى فعل ما امر به وترك ما نهى عنه ولهذا قال
تعالى فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار
فامره مع الاستغفار بالصبر فان العباد لا بد لهم من الاستغفار اولهم واخرهم قال
صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح يا ايها الناس توبوا الى ربكم فوالذي نفسي بيده اني لاستغفر

اليه واتوب اليه اكثر من سبعين مرة وقال انه ليغان على قلبي واني لاستغفر
الله واتوب اليه في اليوم مائة مرة وكان يقول اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي
واسرافي في امري وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطاي وعمدي
وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت
وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت وقد ذكر عن ادم ابي
البشر انه استغفر ربه وتاب اليه فاجتباه ربه فتاب عليه وهداه وعن ابي
الجن ابليس انه اصر متعلقا بالقدر فلعنه واقصاه فمن اذنب وتاب وندم
فقد اشبه اباه ومن اشبه اباه فما ظلم قال تعالى وحملها الانسان انه
كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب
الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما ولهذا قرن سبحانه
بين التوحيد والاستغفار في غير موضع كما قال تعالى فاعلم انه لا اله الا الله
واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقال تعالى الر كتاب احكمت اياته
ثم فصلت من لدن حكيم خبير الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير وان
استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى وقال تعالى
فاستقيموا اليه واستغفروه وفي الحديث الذي رواه ابن ابي عاصم وغيره ان الشيطان

قال

قال اهلكت الناس بالذنوب واهلكوني بلا اله الا الله والاستغفار فلما رايت
ذلك بثثت فيهم الاهواء فهم يذنبون ولا يتوبون لانهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا وقد ذكر سبحانه عن ذي النون انه نادى في الظلمات ان لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين قال الله تعالى فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك
ننجي المؤمنين قال النبي صلى الله عليه وسلم دعوة اخي ذي النون ما دعا
بها مكروب الا فرج الله كربته وجماع ذلك انه لا بد له في الامر من اصلين
ولا بد له في القدر من اصلين ففي الامر عليه الاجتهاد في الامتثال
علما وعملا فلا يزال يجتهد في العلم بما امر الله به والعمل بذلك ثم عليه ان يستغفر
ويتوب من تفريطه في المامور وتعديه للحدود ولهذا كان من المشروع ان يختم
جميع الاعمال بالاستغفار فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى استغفر
ثلاثا وقد قال تعالى والمستغفرين بالاسحار فقاموا الليل ثم ختموا
بالاستغفار واخر سورة نزلت قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورايت
الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا
وفي الصحيح انه كان صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك
اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتاول القران واما في القدر فعليه ان يستعين

بالله في فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه ويدعوه ويرغب إليه ويستعيذ به فيكون
مفتقرا إليه في طلب الخير وترك الشر وعليه أن يصبر على المقدور ويعلم أن ما
أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وإذا آذاه الناس علم أن
ذلك مقدر عليه ومن هذا الباب احتجاج آدم وموسى لما قال يا آدم أنت أبو
البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته فلماذا أخرجتنا
لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فقال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله
بكلامه وكتب لك التوراة بيده فبكم وجدت مكتوبا علي من قبل أن أخلق وعصى آدم
ربه فغوى قال بكذا وكذا سنة قال فحج آدم موسى وذلك أن موسى لم يكن
عتب آدم لأجل الذنب فإن آدم كان قد تاب منه والتائب من الذنب كمن لا
ذنب له ولكن لأجل المصيبة التي لحقتهم من ذلك وهم مأمورون أن ينظروا إلى
القدر في المصائب وأن يستغفروا من المعائب كما قال تعالى فاصبر إن وعد الله
حق واستغفر لذنبك فمن راعى الأمر والقدر كما ذكر كان عابدا لله مطيعا له
مستعينا به متوكلا عليه من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وقد جمع سبحانه بين هذين الأصلين في غير موضع كقوله إياك
نعبد وإياك نستعين وقوله فاعبده وتوكل عليه وقوله تعالى عليه توكلت

واليه أنيب وقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا
يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره وقد جمع النبي بين هذين
في العبادة له والاستعانة به وكان صلى الله عليه وسلم يقول عند الأضحية
اللهم منك ولك فما لم يكن بالله لا يكون فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله وما لم يكن
لله لا ينفع ولا يدوم ولا بد في عبادته من أصلين أحدهما إخلاص الدين له
والثاني موافقة أمره الذي بعث به رسله ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله
عنه يقول في دعائه اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا
ولا تجعل لأحد فيه شيئا وقال الفضيل بن عياض في قوله ليبلوكم أيكم
أحسن عملا قال أخلصه وأصوبه قالوا يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه قال
إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم
يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون لله
والصواب أن يكون على السنة ولهذا ذم الله المشركين في القرآن على أنهم شرعوا
لهم شركاء من الدين ما لم يأذن به الله من عبادة غيره وفعل ما لم يشرعه
من الدين كما قال أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله كما ذمهم
على أنهم حرموا ما لم يحرمه الله والدين الحق أنه لا حرام إلا ما حرمه الله ولا دين

انما حرم

الامانة بعبادة الله ثم ان الناس في عبادته واستعانته اربعة اصناف فالمؤمنون
المتقون هم له وبه يعبدونه ويستعينونه وطائفة تعبده من غير استعانة
ولا صبر فتجد عند احدهم تحريا للطاعة والورع ولزوم السنة لكن ليس لهم توكل
ولا استعانة وصبر بل فيهم عجز وجزع وطائفة فيهم استعانة وتوكل وصبر من
غير استقامة على الامر ولا متابعة السنة فقد يمكن احدهم ويكون له نوع
من الحال ظاهرا وباطنا ويعطى من المكاشفات والتاثيرات ما لم يعطه الصنف
الاول ولكن لا عاقبة له فانه ليس من المتقين والعاقبة للتقوى فالاولون
لهم دين ضعيف ولكنه مستمر باق ان لم يفسده صاحبه بالجزع والعجز وهؤلاء لهم
حال وقوة ولكن لا يبقى لهم الا ما وافق فيه الامر واتبع فيه السنة من الاقوال
من الاعمال والاستعانة فهو ان يشهد ان عمله لله ولا انه بالله خالصة او نحوهم من
الذين بالنذر ... الذين هم في تعظيم الامر والنهي والوعد والوعيد خير ممن هو
الخروج العقوبة الذين يعرضون عن الشرع ... والنهي في ... فيه هم في العدل
ومن هؤلاء من يجد الروح ... حسن من ... ولكن ... فيه
عن بعض الامر والنهي والوعد والوعيد ... المعاينة في مشاهدة
الربوبية والفناء ... جماعة المسلمين ... معتزلة

من هذا الوجه وقد يكون ما فعلوه فيه من البدع شرا من عدم ... العزلة
وكلا الطائفتين ... من الخير وانما دين الله ما بعث به رسله وانزل
به كتبه وهو الصراط المستقيم وهو طريقة اصحاب رسول الله صلى الله عليه و
سلم خير القرون وافضل الامة واكرم الخلق على الله تعالى بعد النبيين قال تعالى
والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان
رضي الله عنهم ورضوا عنه فرضي عن السابقين الاولين رضى مطلقا ورضي
عن التابعين لهم باحسان وقد قال صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة
خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وكان
عبد الله بن مسعود يقول من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات
فان الحي لا تؤمن عليه الفتنة اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ابر هذه
الامة قلوبا واعمقها علما واقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه
صلى الله عليه وسلم ... فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم
فانهم كانوا على الهدى المستقيم وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه
يا معشر القراء استقيموا وخذوا طريق من كان قبلكم فوالله لئن اتبعتموهم
لقد سبقتم سبقا بعيدا ولئن اخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا

وقد روى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
خطا وخط خطوطا عن يمينه وعن شماله ثم قال هذا سبيل الله وهذه سبل
على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا
تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقد امرنا الله سبحانه ان نقول في صلوتنا
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
وقال النبي صلى الله عليه وسلم اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون
وذلك ان اليهود عرفوا الحق ولم يتبعوه والنصارى عبدوا الله بغير علم ولهذا كان [illegible]
يقال تعوذوا بالله من فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل فان فتنتهما
فتنة لكل مفتون وقال تعالى فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف
~~عليهم ولا هم يحزنون~~ وقال ابن عباس رضي الله عنهما تكفل الله لمن قرا القرآن
وعمل بما فيه ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة وقرا هذه الآية فمن اتبع هداي فلا يضل
ولا يشقى وكذلك قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين
الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون
بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك
هم المفلحون [illegible] وذلك خلاف المغضوب عليهم والضالين

[illegible] الامر العظيم [illegible] [illegible] صراط الذين انعم
الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا [illegible]
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم [illegible]

[illegible] وقع [illegible]
تم الكتاب بعون الله الملك الوهاب والحمد لله رب العالمين

[illegible] هذا الكتاب [illegible] [illegible]
وهو [illegible] [illegible]
وذلك في [illegible] سنة [illegible] وسبعين وسبعمائة [illegible]
والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وسلم